Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 39:3 (2004)

بين يدي فقه الليث بن سعد

محمد رواس قلعه جي

ترجمة الليث بن سعد:

الذين تسمَّوا بـ "الليث بن محمد": لو تصفّحنا كتب الرجال، لوجدنا أن التاريخ قد حفظ لنا أكثر من راو وعالم يحمل اسم "الليث بن سعد"، قال ابن حجر: ذكر الخطيب في **المتفق** من يقال له "الليث بن سعد" ثلاثة:

أحدهم: ابن أخي سعيد بن أبي مريم، شيخٌ لأحمد بن يحيى بن خالد الشرفي، شيخ الطبراني، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

والثاني: ابن أبي خالد بن نجيح، يروي عن خالد بن وهب، وهذان الاثنان ذكرهما ابن يونس في **تاريخ مصر**، وهما متأخران عن طبقة أصحاب الليث.

والثالث: متأخر عنهم، واسم جده سليمان بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن سعد، يكنّى أبا عمر النسفي، وقد وثّقه الخطيب(١).

والرابع: هو الليث بن سعد، الذي سنتحدث عنه وعن فقهه في هذا البحث.

اسمه ونسبه:

هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن، يكنّى بـ "أبو الحارث" الفَهْمِي بالولاء(٢)، فقد كان رحمه الله تعالى مَوْلًى لخالد بن ثابت بن ظاعن الفَهْمِي(٣)، وقال ابن خلكان: بل هو مولى لقيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد مسافر الفَهْمِي ـ لعله يريد: ظاعِناً الفَهْمِي(٤) ـ المصري.

---

١ – أحمد بن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٥/٨، ط ١، عام ١٢٢٥هـ.

٢ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١٣/١٣، مطبعة السعادة.

٣ – شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٣٦/٨، دار إحياء التراث العربي، **وتاريخ بغداد**، ٣/١٢.

٤ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤، دار الفكر، بيروت.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

ويقول يحيى بن بكير: إن سعداً ـ أبو الليث ـ كان مولى قريش، وإنما افتُرِضوا في فهمٍ، فنسب إليهم[٥]. ولا منافاة بين هذا وذاك.

وقد اتفق المترجمون لليث بن سعد على أن أصله، من الفرس، من أصبهان[٦]، وقد روى عيسى بن زُغبة عنه أنه قال: أصلنا من أصبهان، فاستوصوا بهم خيراً[٧] وكان أهل بيته يقولون: "نحن من الفرس من أهل أصبهان"[٨].

ولادته:

ولد رحمه الله تعالى بقرية قَرْقَشَنْدَة، من أعمال مصر، وهي قرية تبعد نحو اثنين وعشرين كيلو متراً عن القاهرة[٩]، وقد وقع الاختلاف في سنة ولادته، فذكر في **وفيات الأعيان** أنه ولد سنة ثلاث وتسعين للهجرة[١٠]، وذكر الخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، والذهبي في **سير أعلام النبلاء** أنه ولد سنة أربع وتسعين للهجرة[١١]، وقد أبعد السمعاني عندما ذكر أنه ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائة.

لكن الذي عليه جمهور المؤرخين أنه ولد في شعبان من سنة أربع وتسعين من الهجرة، وهو التاريخ الذي وثّقه هو رحمة الله تعالى بنفسه، فقد روى ابن بكير قال: وأخبرني ابنه شعيب عنه

---

٥ – ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠١/٨.

٦ – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٣٦/٨، أبو نعيم الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢١/٧، مصر دار النهضة، **وتذكرة الحفاظ**، ٢٢٤/١، وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠١/٨.

٧ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٦/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٧/ ٣٢١، خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ١٤٥/٨.

٨ – الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٣٦/٨، الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٣/١٣.

٩ – ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٥/١، دار ابن كثير، ط ١، ١٤٠٦هـ، وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠١/٨، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٣٧/٨، الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٣/١٣، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٨/٤.

١٠ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٨/٤.

١١ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٦/١٣ الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٣٧/٨.

قال: كان يقول لنا بعض أهلي أني ولدتُ في شعبان سنة اثنين وتسعين للهجرة، وأما الذي أوثّقه أني ولدت سنة أربع وتسعين[١٢].

الفترة الزمنية التي عاشها الليث:

لقد رأينا أن الليث ولد عام أربع وتسعين من الهجرة، وسنرى أنه توفي سنة خمس وسبعين ومائة، أي أن ولادته كانت في إبان الدولة الأموية، وفي خلافة الوليد بن عبد الملك الذي ولي الخلافة (من ٧٦ — ٩٦هـ) وشهد خلافة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز التي دامت من (٩٩– ١٠١هـ) وهو ما زال طفلاً لم يعقل، لقد قضى عمر بن عبد العزيز فترة خلافته في إصلاح ما أفسده سابقوه، فساد الحق والعدل في عهده، ولكن تيار الفساد كان أقوى، فدسَّ له بنو أمية السُمَّ، فمات مسموماً رحمه الله تعالى[١٣]، وولي الخلافة من بعده يزيد بن عبد الملك التي دامت خلافته من (١٠١– ١٠٥هـ) وفي عهد هذا الخليفة اشتدت نار العصبية بين الشمال والجنوب ـ أي: مضر واليمن ـ وقوي الصراع، بسبب انحياز الخليفة إلى المضريِّين، بسبب قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقتل أهل بيته اليمنيين، ثم ولي الخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥–١٢٥هـ) الذي قد قُتِل في عهده خالد بن عبد القسري ـ اليمني ـ واليه على العراق، مما جعل اليمنيين يوحِّدون صفوفهم ويَنْضَوُون تحت لواء ابنه يزيد بن خالد القسري، وصاروا قوة تهدّد الخلافة الأموية.

ثم ولي الخلافة الوليد بن يزيد (١٢٥– ١٢٧) من بعد هشام بن عبد الملك، وكان الوليد لاهياً عابثاً سيّئ السيرة، فوثب عليه أهله فقتلوه، ثم خلفه الوليد بن يزيد الذي توفي في السنة التي وُلِّيَ فيها، فقام بالأمر بعده أخوه إبراهيم بن الوليد، فلم يمكث في الخلافة سوى شهرين، حيث سار إليه مروان بن محمد (١٢٧–١٣٢) فخلعه. وكثرت في عهده القلاقل والفلآ حتى ناء بحملها.

وفي الطرف المقابل كان محمد بن علي العباسي الذي توفي سنة ١٢٥هـ يرسل دعاته إلى أقطار الأرض يعملون على كسب الولاء لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما توفي سنة خمس وعشرين ومائة خلفه في قيادة الدعوة إلى العباسيين ابنه إبراهيم الذي اتصل به أبو مسلم الخراساني، ولما علم الخليفة مروان بن محمد باتصال إبراهيم الإمام قبض عليه وسجنه في حَرَّان ثم قتله، ولكن

---

١٢ – يوسف بن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٨٢/٢، دار الكتب المصرية، ط ١، عام ١٢٨٤هـ، الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٦/١٣، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٣٧/٨، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٨/٤، مكتبة النهضة، عام ١٩٤٨م.

١٣ – انظر مقدّمة كتابنا : **موسوعة فقه عمر بن عبد العزيز**.

إبراهيم الإمام وَلَّى عهده قبل موته أخاه أبا العباس عبد الله بن محمد الذي عُرف فيما بعد بأبي العباس السفّاح، فسار أبو العباس إلى الكوفة واستطاع الانتصار على يزيد بن عمر بن هُبَيْرة قائد جيش الأمويين، ثم أخذت البلاد تتهاوى أمام العباسيّين، والعباسيّون يوالون تقدّمهم، وكان أبو العباس أول خليفة عباسي.

وهكذا شهد الليث بن سعد انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وسِنُّه ثمان وثلاثين سنة، ولم نلحظ له أيَّ أثر، ولم ينقل لنا عنه أي خبر في عهد الأمويين.

لقد شهد خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم (١٣٢–١٣٦)، و خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦–١٥٨)، والتقى معه في بيت المقدس، وأثنى عليه المنصور خيراً وقال له: أعجَبَني ما رأيت من شِدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك[١٤]، وخلافة المهدي (١٥٨–١٦٩) وخلافة الهادي (١٦٩– ١٧٠) و سنوات من خلافة هارون الرشيد الذي دامت خلافته من (١٧٠– ١٩٣)، وفي ظل الدولة العباسية اشتهر أمر الليث بن سعد وذاع صيته.

أسـرته:

لم يحدثنا التاريخ شيئاً عن أسرة الإمام الليث بن سعد، فنحن لا نعرف كثيراً عن أبيه، ولكنه يظهر أن أباه كان من الرواة الثقات لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنه ابنه الليث بعضاً منه، فقد روى مسلم في صحيحه قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد، قال: حدثني أبي عن جدّي قال: حدثني عقيل بن خالد، قال: قال ابن شهاب: أخبرني أبوبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبي هريرة أنه قال "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" قال ـ يعني: أبا بكر، الراوي عن أبي هريرة ـ وكان أبو هريرة يلحق معهن: ولا ينتهب نُهْبَة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن[١٥].

ولا نعرف شيئاً عن أمّه، ولكننا نعرف أن له ولداً اسمه: الحارث، وهو أكبر أولاده، وهو الذي يكنَّى به، ولا نعرف له اشتغالاً بالعلم، وقد ذكره الحافظ البغدادي في معرض قصة رواها الحارث بن مسكين قال: اشترى قوم من الليث بن سعد ثَمَرة، فاسْتَغْلَوْهَا، فاستقالوه، فأقالهم، ثم

---

١٤ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥١/٨.

١٥ – **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبّس بالمعصية، حديث رقم ٥٧.

دعا بخريطة فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين ديناراً، فقال له الحارث ابنه في ذلك، فقال: اللهم غفراً، إنهم قد كانوا أمَّلوا فيه أملاً، فأحببتُ أن أُعوِّضَهم عن أملهم بهذا[١٦].

ونعرف له ولداً آخر، هو: أبو عبد الملك شعيب، اشتغل برواية الحديث، فروى عن أبيه، وروي عنه يحيى بن بكير[١٧]، وكان أبو عبد الملك رجلاً صالحاً، وكان الليث يأتمُّ به، فقد نقل في تاريخ بغداد قال: قال قتيبة بن سعيد: كان الليث إذا حضرته الصلاة يخرج إلى الشط فيصلي، وكان ابنه شعيب إمامه، فخرج لصلاة المغرب، فقال: أين شُعيب؟ فقالوا: حُمَّ، فقام الليث، فأذَّن وأقام[١٨].

عقيدته:

أ- عقيدته في صفات الله تعالى:

لم تكن الأهواء والبدع قد قوي شأنها في عهد الليث بن سعد ـ رحمه الله تعالى ـ وكان الناس في عهده، حكاماً ومحكومين على العقيدة السليمة التي عرفت فيما بعد بـ "عقيدة أهل السنَّة والجماعة".

وكان الليث بن سعد رحمه الله تعالى ينحو نحو السلف من الصحابة والتابعين في فهمهم لآيات صفات الله تعالى، حيث كانوا يؤمنون بها كما وردت دون تأويل، فقد روى أبوبكر الخلاّل الفقية، قال: أخبرني أحمد بن محمد بن واصل المقرئ، حدثنا الهيثم بن خارجة، أخبرنا الوليد بن مسلم، قال: سألتُ مالكاً بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات؟ فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت[١٩].

ولكن هذا لم يدم طويلاً، إذ رأينا ـ كما يقول الذهبي ـ في زمن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد القاسم بن سلام ـ رحمهم الله تعالى ـ ظهور البدعة، وامتحان وُلاَّة الأمر، ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب

---

١٦ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، وابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤.

١٧ - **الكني والأسماء**، ٦٠٠/١، قرص ممغنط، مركز التراث، سلسلة برامج القمة، المكتبة الألفية للسنّة النبوية، الإصدار ٥و١ عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٨ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١٠/١٣.

١٩ - الزركلي: **الأعلام**، ١٦٢/٨.

والسنّة، ثم كثر ذلك، واحتج عليهم العلماء أيضاً بالمعقول، فطال الجدال، واشتدّ النزاع، وتولّدت الشُّبَه(٢٠).

وكان من منهج الليث رحمه الله تعالى عدم مجادلة أهل الأهواء، لأنه كان يرى أن في مجادلتهم مضيعة لوقته وإشهاراً لأمرهم، فقد روى سعيد بن أبي مريم قال: "سمعت الليث بن سعد يقول: بلغت الثمانين، وما نازعتُ صاحب هوى قطُّ(٢١).

ب- عقيدته في الصحابة:

من المعروف أن جماعات مشبوهة في مصر قد عملت على نشر أفكار خاطئة تتهم عثمان رضي الله عنه وتنتقص منه، توطئة لإيجاد جَوَّ عامٍّ مُعادٍ لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه مما جعل طوائف من أهل مصر تخرج إلى الحجاز لتشارك بالثورة المسلحة وتساهم في صناعة الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عام ٣٥هـ، وكان لهذه الأفكار الخاطئة عن عثمان بن عفان رواج في مصر في عهد الليث رحمه الله تعالى وهذا ما دفعه إلى تكريس شيء من جهده لإزالة هذه الأفكار من أذهان الناس، ونجح رحمه الله تعالى في مسعاه، وكفَّ الناس عن الانتقاص من عثمان رضي الله تعالى؛ قال عثمان بن صالح: كان أهل مصر ينتقصون عثمان رضي الله تعالى عنه، حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدّثهم بفضائله، فكَفُّوا، وكان أهل حمص ينتقصون عَلِيّاً رضي الله تعالى عنه، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عيّاش، فحدّثهم بفضائل علي رضي الله تعالى عنه، فكَفُّوا عن ذلك(٢٢).

عبادته:

لم ينقل لنا الكثير من المعلومات عن عبادته، ولكن نقل لنا ما نستطيع أن نستنبط منه حرصه على المحافظة على السنن، بل على النوافل، بالإضافة إلى حرصه على الفرائض، ذلك أنه كان

---

٢٠ - الزركلي: **الأعلام**، ١٤٤/٨.

٢١ - نفس المصدر، ١٤٤/٨.

٢٢ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

يصلى جميع فرائضه في المسجد، وكان له فيه مجلس يجلس فيه، وكان يأتيه على فرس[٢٣]، وكان يتصدّق كل يوم على ثلاثة مساكين[٢٤].

صفاته:

١- صفاته الخَلْقِية:

لا نعرف شيئاً عن الصفات الخَلْقِية للإمام الليث بن سعد، ولكننا نعلم أنه كان كثّ اللحية، قال الليث: دخلتُ على نافع، فسألني، من أين أنت؟ فقلت: أنا مصري، فقال: ممن؟ قلت: من قيس، قال: ابن كم؟ قلت: ابن عشرين، فقال: أما لحيتك فلحية ابن أربعين[٢٥]، و كان يتمتّع بصحة جيّدة، وحافظة قوية، وأنه فاق بهما أقرانه، وبقيتا له حتى وفاته، فقد كان رحمه الله تعالى أكبر من ابن لهيعة بسنة، ومات بعد ابن لهيعة بسنة على الراجح[٢٦]، ولكن ابن لهيعة اختلط في آخر حياته، وبقي الليث محتفظاً بذاكرته، وتهدم جسم ابن لهيعة، وبقي الليث محتفظاً بحيويته، قال يحيى بن بكير: "سمعت الليث كثيراً ما يقول: "أنا أكبر من ابن لهيعة، والحمد لله الذي متعنا بعقلنا، وكان الليث أكبر من ابن لهيعة، ولكن إذا نظرتَ إليهما تقول: ذا ابنٌ، وذا أبٌ، ـ يعني: ابن لهيعة الأب"[٢٧].

٢- صفاته الخُلُقية:

أ- ربما لم تنقل لنا تفاصيل عن أخلاق الليث بن سعد رحمه الله تعالى سوى السخاء والعلم اللذيْن انطبعت بهما شخصيّته فبرزا بروزاً واضحاً حتى طغيا على ما سواهما، مما دعانا إلى أن نفرد الحديث عن كل واحد منهما في فقرةً خاصة في مقدمتنا هذه.

ولكن ما وصف به الواصفون الليث بن سعد من كلمات جامعة أبلغ من كل تفصيل، لأنها لم تترك صفة حسنة، ولا خلقاً كريماً إلا استوعبته، ومن ذلك ما وصفه به ابن حبان في الثقات قال: "كان الليث من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً وسخاءً، وقال ابن أبي مريم: ما رأيتُ

---

٢٣ - تاريخ يحيى بن معين، ٥٠٢/٢ برقم ٥٣٦٣، بتحقيق وترتيب: أحمد محمد نور سيف، ط ١، عام ١٢٩٩م، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

٢٤ - الزركلي: **الأعلام**، ١٥٨/٨.

٢٥ - نفس المصدر، ١٤٥/٨.

٢٦ - الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١٤/١٣، وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨.

٢٧ - ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤.

أحداً من خلق الله أفضل من الليث، وما كانت خصلة أتقرّب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلة في الليث"[٢٨].

ب- تقواه ورقة قلبه: كان الليث بن سعد تقيّاً، رقيق القلب، تبكيه الموعظة المخلصة، وتهزّه من الأعماق اللمسة الإيمانية، وكان بنفسه رحمه الله تعالى يطلب من الوُعَّاظ أن يتعاهدوه بالموعظة، ويُذكّروه بالله عزّ وجل. وقد وعظه منصور بن عمّار فبكى حتى كثر بكاءه، فقد أعجبه كلامه وتأثر به، ووصله بمال كثير، وسنذكر قصته معه عند حديثنا عن وصله له. وكلّف سعيد الآدم أحد العبّاد الزهّاد أن يكتب له العُبَّادَ الفقراءَ الذين يرتادون المسجد، فلم يفعل سعيد، ولما سأله عن سبب إحجامه عن كتابة أسمائهم أجابه: لقد تحرّجت أن آتيَ إلى قوم عاملوا الله سرّاً فأكشف سرّهم لآدمي ـ يريد الليث ـ فلو مات الليث ومات ابن الليث، أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه، ولما سمع الليث مقالة سعيد الآدم صاح صيحة اجتمع عليه فيها الخلق، فقالوا: يا أبا الحارث: ألا خيراً؟ فقال: ليس إلا خيراً، ثم أقبل على سعيد الآدم فقال: يا سعيد تبيَّنتَها، وحرمتُها، صدقتَ، لو مات الليث أليس مرجعهم إلى الله عزّ وجل؟[٢٩]

ثراؤه:

اتفقت كلمة المؤرخين الذين أرّخوا للإمام الليث بن سعد على أنه كان ثريّاً، له حدائق وجنان وَارِفَة الظلال كثيرة الخيرات، مرَّ بها وأكل منها أشهب بن عبد العزيز وجماعة عندما خرجوا مرابطين إلى الإسكندرية، قال أشهب "خرجنا مرابطين إلى الإسكندرية فمررنا بجنان الليث بن سعد، فدخلنا، فأكلنا من الثمر"[٣٠]؛ ولا يبعد أنْ كان يملك السفن التي تمخر البحار، ويبلغ عدد ضيوفه الذين يرافقونه في سفره حمل سفينة، ترافقها سفينة أخرى تحمل المطبخ، وثالثة يحمل بها عياله، ولا يتأتَّي ذلك إلا لثَـريٍّ بَالغِ الثراء؛ قال أبو رجاء قتيبة بن سعيد: قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن: سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله، وسفينة فيها أضيافه[٣١]، وهذا يبيّن لنا حجم ثراء الليث رحمه الله تعالى.

---

٢٨ - وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨.

٢٩ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١١/١٣، وسيأتي النص بحروفه عند حديثنا عن صدقاته.

٣٠ - ابن عبد البر: **التمهيد**، ٢٠٩/١٤.

٣١ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، أبو نعيم الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، مصر، دار النهضة، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٠/٨.

وقد اختلف المقدِّرون للدّخْل السنوي لغلاَّت أملاك الليث رحمه الله تعالى، فقال قتيبة بن سعيد كان الليث يستغل عشرين ألف دينار كل سنة[٣٢]؛ وقال ابنه شعيب: يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألف دينار[٣٣].

يضاف إلى ذلك خمسة آلاف دينار كانت تدخل إليه[٣٤]، وأظنها عطاياه المستحقّة على الدولة ـ والله أعلم ـ يضاف إلى ذلك كذلك أموال كانت تأتيه من هنا وهناك، حتى قدّر منصور بن عمّار ـ فيما رواه ابنه سليم عنه ـ دَخْلَه العام بخمسين ألف دينار، قال سليم بن منصور سمعت أبي يقول: الليث بن سعد يستغل في كل سنة خمسين ألف دينار[٣٥]؛ بينما قدّر محمد بن رُمْح دخله العام في السنة بثمانين ألف دينار[٣٦]. ومهما قيل في هذا الرقم، فإنه يجعل الليث بن سعد في قمة الهرم بين أثرياء عصره، بل لعله يكون أثْرَى محدِّثٍ وفقيهٍ عرفته الأمة الإسلامية. ومصدر هذه الثروة ـ والله أعلم ـ أمران:

الأول: العطايا التي كان يغدقها عليه الخلفاء، وسنرى أنه رحمه الله تعالى قد نال عطايا ثمينة جدّاً من هارون الرشيد وأكثر منها من زُبَيدة زوجة الرشيد لحلّه إشكالاً وقع بينها وبين زوجها نفسه كان يمكن أن ينتهي بطلاقها لولا فتواه[٣٧].

والثاني: تولّيه الإشراف على أموال بعض الخلفاء واستثماراتها، فقد كان رحمه الله تعالى المشرف العام على أموال الرشيد وضِيَاعِهِ بمصر، وعلى أموال زوجته زبيدة وضِيَاعِهَا في مصر.

وقد أحسن رحمه الله تعالى استثمار ما صار إليه من الأموال، فولد المال المال، فنَما وكثُر، وكما يقولون: الإشكالية في جمْع المليون الأول، ثم تتوالى الملايين الأخرى.

---

٣٢ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، ١٣٨٧هـ، أبو نعيم الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧، و**وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

٣٣ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١٣/١١، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٢/٨.

٣٤ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤.

٣٥ – الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧.

٣٦ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١١/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧.

٣٧ – انظر القصة في **حلية الأولياء**، ٣٢٣/٧.

تـرفُّهُه:

إن هذا الثراء جعل الليث يعيش عيشة رافهة، يتوسع في طعامه يأكل في كل وجبة طعامٍ اللحمَ، حتى قال تلميذه عبد الله بن صالح: صحبت الليث بن سعد عشرين سنة، لايتغدّى ولا يتعشّى إلا مع الناس، وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض(٣٨)؛ ويتوسع في مركوبه وفي ملبسه، حتى قال محمد بن معاوية النيسابوري: خرج الليث يوماً فقومنا ثيابه ودابته وخاتمه بثمانية عشر ألف درهم، إلى عشرين ألف درهم، بينما قوَّم أصحاب شعبة حماره وسرجه ولجامه بثمانية عشر درهماً(٣٩) فانظر الفرق بين الرجلين.

هذا التّرَفُّه والتوسُّع في العيش جعل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة يكتب إليه "بلغني أنك تأكل الرُّقاق ـ أي: الخبز الرقيق المدور ـ وتلبس الرِّقاق، وتمشي في الأسواق" فكتب إليه الليث بن سعد: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّهِ الَّتِيْ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾(٤٠) الأعراف: ٣٢، فهو لا يرى في مسلكه هذا غضاضة ولا أية مخالفة شرعية، لأن الله تعالى خلق تلك الأشياء الرافهة لعباده، والصالحون منهم هم أولى الناس بها.

سخـاؤه:

لم يكن هذا الثراء الذي أكرم الله تعالى به الليث بن سعد نتيجة بخل أو شحّ، فقد اتفق الواصفوان للّيث بن سعد على أنه كان سخيّاً، والوقائع التي سنذكرها الآن تدل على مدى سخاء هذا الرجل وكرَم نفسه بحق.

١- عدم وجوب الزكاة عليه:

من يعلم أن إيرادات الليث بن سعد قد بلغت ثمانين ألف دينار في السنّة، فإنه سوف يذهب إلى حساب مقدار ما يجب عليه من الزكاة في كل عام، وهو لا يدري أن هذه الإيرادات تنفق كلها في وجوه الخير قبل أن يحول عليها الحول، ولذلك اتفق المؤرخون له على أنه لم تجب عليه

---

٣٨ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢١/٧، الزركلي: **الأعلام**، ٣٢١/٨.

٣٩ - شمس الدين الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، دار إحياء التراث العربي، عام ١٣٧٩هـ، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٧/٨.

٤٠ - ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٨٢/٢.

زكاة قط[٤١]، وقال هو عن نفسه: ما وجبت عليَّ زكاة قط منذ بلغت[٤٢]، ليس هذا فحسب، بل لم يكن يأتي عليه العام إلا وقد لزمته الديون، قال ابنه شعيب: لم تكن تأتي على أبي السنة إلا وعليه دين[٤٣]، ويقول سليم بن منصور بن عمّار: لم يكن يحول عليه الحول إلا وعليه دين[٤٤]. لأنه كان ينفق كل هذا صدقاتٍ يتصدق بها على الفقراء والمحتاجين، أو صِلاَتٍ يصل بها العلماء والأتقياء، أو معوناتٍ يُعِين بها طلاّب العلم، أو ضيافات يكرم بها ضيوفه.

٢- صدقاته:

أما صدقاته فإنه كان رحمه الله تعالى لا يتغدّى كل يوم حتى يطعم ثلاثمائة وستين مسكينا[٤٥]، ولا ينام حتى يتصدق على ثلاثمائة مسكين[٤٦]. وكان رحمه الله تعالى يقدّم في الصدقة الأتقياء الذين يلزمون الجماعات في المسجد، قال محمد بن رمح، حدثني سعيد الآدم قال: مررت بالليث بن سعد، فتنحنح لي، فرجعتُ عليه، فقال لي: يا سعيد خذ هذا القُنْدَاق ـ صحيفة الحساب ـ فاكتب لي فيه من يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلة، قال: فقلتُ: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث، وأخذت منه القُنداق ثم صرت إلى المنزل، فلما صلّيتُ أوقدتُ السراج وكتبتُ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان، ثم بدرَتْني نفسي، فقلتُ: فلان بن فلان، قال، فبينا أنا على ذلك إذ أتاني آتٍ فقال: ها الله يا سعيد، تأتي إلى قوم عاملوا الله سرّاً فتكشفهم لآدمي؟ أرأيتَ إن مات الليث، ومات شُعيب بن الليث أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه؟ قال، فقمت، ولم أكتب شيئاً، فلما أصبحتُ أتيتُ الليث بن سعد، فلما رآني تهلّل وجهه، فناولته القُنداق، فنشره، فأصاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت، فقال لي: يا سعيد، وما الخبر؟ فأخبرته بصدق عما كان، فصاح صيحة فاجتمع عليه الناس من الخلق،

---

٤١ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١١/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٥/١، **وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٢/٨.

٤٢ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٩/٨.

٤٣ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١١/١٣، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٢/٨.

٤٤ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧.

٤٥ - ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٥/١، دار ابن كثير، ط ١، سنة ١٤٠٦هـ.

٤٦ - الزركلي: **الأعلام**، ١٥٨/٨.

فقالوا: يا أبا الحارث، ألاَ خيراً، فقال: ليس إلاَّ خيراً، ثم أقبلَ عليَّ فقال: يا سعيد تبيّنتها وحرمتها، صدقتَ، إذا مات الليث أليس مرجعهم إلى الله؟(٤٧)

٣- **صِلاَتُه للعلماء والأتقياء وأهل الفضل:** كان الليث يَصِلُ كثيراً من العلماء والأتقياء وأهل الفضل، ومن هؤلاء:

أ- **وصله العلماء:** كان الليث بن سعد كثير الصلة للعلماء، ومن ذلك:

١- وصله الإمام مالك: والإمام مالك إمام دار الهجرة في الفقه الحديث، وقد كان بين الليث بن سعد والإمام مالك بن أنس وُدٌّ، وكان الليث دائم الودّ والوصل للإمام مالك، وقد تمّتنت بينهما الصلات بخاصة عندما قدّم الليث بن سعد إلى الحج، ونزل في المدينة المنورة، قال قتيبة بن سعيد سمعت شعيب بن الليث بن سعد يقول: خرجت مع أبي حاجاً، فقدّم المدينة المنورة، فبعث إليه الإمام مالك بطبق رطب، قال، فجعل على الطبق ألف دينار، وردّه إليه(٤٨)، ولعل هذه الصلة هي التي تحدّث عنها أبو نُعَيْم في **الحلية**، والخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، وابن حجر في **تهذيب التهذيب**، ولا يبعد أن تكون غيرها(٤٩)، هذا إضافة إلى الصلة السنوية التي خصّصها الليث رحمه الله تعالى للإمام مالك، وقدّرها مائة دينار في السنة، قال ابن وهب: كان الليث يصل مالكاً كل سنَة بمائة دينار(٥٠).

وكان الإمام مالك لا يرى غضاضة من إخبار الليث بن سعد بالضائقة المالية التي كان يرزح تحتها أحياناً، وكان الليث لا يتأخر في التفريج عن الإمام، فقد كتب إليه مرة: إن عليَّ ديناً، فبعث إليه بخمسمائة دينار(٥١)، وخطبت ابنة الإمام مالك، فاحتاج مالك إلى شيء من العصفر يصبغ بها ثياب العروس، فكتب إلى الليث بن سعد: إني أريد أن أُدخل ابنتي على زوجها، فأحب أن تبعث إليَّ شيئاً من عصفر، فبعث إليه الليث ثلاثين حملاً من

---

٤٧ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١١/١٣.

٤٨ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤و ١٣١، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٠/٨.

٤٩ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧.

٥٠ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

٥١ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤.

عصفر[٥٢]، وكان الإمام مالك لا يفتأ يذكر للّيث، فقد روى أبو صالح ـ كاتب الليث ـ قال: كنّا على باب مالك، فامتنع علينا، فقلنا: ليس يُشْبهُ صاحبَنا أي: الليث بن سعد قال، فسمع مالك كلامنا، فأَدخَلَنا عليه، فقال لنا: من صاحبُكم؟ قلنا: الليث بن سعد، فقال: تشبهوني برجلٍ كتبنا إليه في قليل من عصفر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثيابنا، وثياب صبياننا، وثياب جيراننا، وبِعْنا الفضلة بألف دينار[٥٣].

٢- **وصْلُه منصور بن عمّار**: منصور بن عمّار بن كثير، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفي فيها، زار مصر والتقى فيها بالليث بن سعد، كان واعظاً مجيداً، وكان في قصصه وكلامه شيئاً عجيباً، لم يقص على الناس مثله[٥٤]، قدم على الليث بن سعد في مصر فوصله الليث بألف دينار، وجارية تساوي ثلاثمائة دينار، وقال له: صن بهذه الحكمة التي آتاك الله[٥٥]، وروي سليم بن منصور بن عمّار قال: سمعت أبي يقول: دخلتُ على الليث بن سعد يوماً وعلى رأسه خادم يغمزه، فخرج، ثم ضرب الليث يده إلى مصلاه فاستخرج من تحته كيساً فيه ألف دينار، ثم رمي بها إليَّ، ثم قال: يا أبا السري، لا تُعلِمْ بها ابني، فتهون عليه[٥٦]، فبلغ ذلك شعيب بن الليث، فوصله بألف دينار إلا ديناراً، وقال: إنما نقصتك هذا الدينار لئلاّ أساوي الشيخ ـ يعني: والده الليث ـ في العطية[٥٧]، وقد ذكر أبو نُعيم ذلك في قصة طريفة، أرى من المفيد ذكرها هنا. قال منصور بن عمّار: كان الليث بن سعد إذا تكلّم بمصر أحد قفاه ـ أي ـ أرسل إليه ـ فتكلَّمْتُ في المسجد الجامع يوماً فإذا رجلان قد دخلا من باب المسجد، فوقفا على الحلقة، فقالا: من المتكلّم؟ فأشاروا إليَّ، فقالا: أجب أبا الحارث، فقمتُ وأنا أقول: واسوأتاه، ألقى من ... هكذا، فلما دخلتُ على الليث

---

٥٢ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٥/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤.

٥٣ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٧/٨.

٥٤ - أبو الفرج ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٣٠٨/٢، دار المعرفة، ط ٢، عام ١٣٩٩هـ.

٥٥ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤، وابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

٥٦ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢١/٧، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٨/٨.

٥٧ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧.

سلّمتُ، فقال لي: أنت المتكلم في المسجد؟ قلتُ: نعم، رحمك الله، فقال لي: اجلس وردد عليَّ الكلام الذي تكلمت به، فأخذتُ في ذلك المجلسَ بعينه، فرقَّ الشيخ، وبكى، وسري عنه، وأخذتُ في صفة الجنة والنار، فبكى الشيخُ حتى رحمته، ثم قال لي بيده: اسكت، فسكتُّ، فقال لي: ما اسمك؟ قلت: منصور، قال: ابن من؟ قلت: ابن عمّار، قال: أنت أبو السري؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله لم يمتني حتى رأيتك، ثم قال: يا جارية، فجاءت فوقفت بين يديه، فقال لها: جيئيني بكيس كذا وكذا، فجاءت بكيس فيه ألف دينار، فقال: يا أبا السري خذ هذا إليك، وصن به الكلام الذي أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحنَّ أحداً من المخلوقين بعد مِدْحَتِك لرب العالمين، ولك في كل سنَةٍ مثلها. قلت: رحمك الله، إن الله عزّ وجل قد أنعَم إليَّ وأحسَن، قال: لا تردّ عليّ شيئاً أَصِلُك به، فقبضتُها وخرجتُ، قال: لا تبطئ عليَّ.

فلما كان يوم الجمعة الثانية أتيته، فقال لي: أذكر شيئاً، فأخذتُ في مجلس لي، فتكلمت، فبكى الشيخ، وكثر بكاؤه، فلما أردتُ أن أقوم قال: انظر ما في ثَنْيِ الوسادة، فإذا خمسمائة دينار، فقلت: رحمك الله، عهدي بصلتك بالأمس، فقال: لا ترد عليَّ شيئاً أصِلُك به، متى أراك؟ قلت الجمعة الداخلة، قال: كأنك فتَّتَّ عضواً من أعضائي، فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودعاً، فقال لي: خُذ في شيء أذكُرُكَ به، فتكلمتُ، فبكى الشيخ، وكثر بكاؤه، ثم قال لي: يا منصور، انظر ما في ثنْي الوسادة، فإذا ثلاثمائة دينار، قال: أَعِدَّها للحجّ، ثم قال: يا جارية، هاتي ثياب الإحرام، إحرام منصور، فجاءت بإزار فيه أربعون ثوباً، قلت: رحمك الله، أكتفي بثوبين، فقال لي: أنت رجل كريم وسيصحبك قوم، فأعطهم، وقال للجارية التي تحمل الثياب معه: وهذه الجارية لك[٥٨].

٣- **وصْلُه ابن الهيعة**: ابن لهيعة عالم من أهل الحديث، احترق بيته، واحترقت مع البيت كتُبُه، قال قتيبة: فوصله الليث بألف دينار[٥٩]، وفي رواية أخرى لقتيبة: أن الليث بعث إلى ابن لهيعة كاغَذاً بألف دينار[٦٠].

---

٥٨ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٠/٧، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٣١٠/٤.

٥٩ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، أبو نعيم الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

٦٠ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١٠/١٣، الزركلي: **الأعلام**، ١٥١/٨.

ب- **وصْلُه طلاب العلم**: كان الليث يجيء المسجد كل صلاة على فرس، يصلّي فيه، وكان له مجلس يجلس فيه، وكان يحيى بن أيوب يجلس في رَحْبَة المسجد، فمرّ الليث يوماً، فقام معه يحيى بن أيوب إلى مجلسه، فكان الليث بن سعد يقول له: ما عندك كذا؟ فيجيبه يحيى بن أيوب، فبعث إليه الليث بن سعد بمائة دينار، فكان بعدُ يلزمه(٦١).

ج- **وصْلُه أهل الفضل**: من الوقائع التي حفظها لنا التاريخ في ذلك: ما رواه أسد بن موسى قال: كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية ويقتلهم، فلما دخلتُ مصر، دخلتها في هيئة رثَّة، فدخلتُ على الليث بن سعد، فلما فرغت من مجلسه، خرجت، فتبعني خادم له في دهليزه، فقال: أخرج حتى أخرج إليك، فجلست، فلما خرج إليَّ وأنا وحدي دفع إليَّ صرّةً فيها مائة دينار، فقال: يقول لك مولاي: أصلح بهذه النفقة بعض أمرك، ولَّم شعثك، وكان في حوزتي هميان فيه ألف دينار، فأخرجتُ الهميان فقلتُ: أنا عنها في غنًى، استأذنْ لي على الشيخ، فاستأذنَ لي، فدخلتُ، فأخبرته بنسبي، واعتذرتُ إليه في ردِّها، وأخبرته بما مضَى، فقال: هذه صلة وليست بصدقة، فقلت: أكره أن أُعَوِّدَ نفسي عادةً وأنا في غنًى، فقال: ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممّن تراه مستحقّاً لها، فلم يزل بي حتى أخذتها، ففرَّقتها على الجماعة(٦٢).

٤- **نفَقَة ضيُوفه**: ولكي نتصور حجم هذه النفقة لا بد لنا من معرفة عدد هؤلاء الضيوف، ونوعية الطعام الذي كان الليث يقدّمه إليهم.

أ- أما عددهم فيكفي أن نعلم أنه كان يطعم كل يوم ثلاث مائة وستين شخصاً، وخرج مرة من الإسكندرية ومعه ثلاث سفن، منها سفينة خاصة لضيوفه، وأخرى للطبخ، وثالثة لعياله(٦٣).

ب- أما نوع الطعام الذي كان يقدّمه لضيوفه فهو: اللحم، وكان يقدّمه لضيوفه مع كل وَجْبَة طعام، وكان هو يأكل معهم(٦٤)، وكان يطعم الناس في الشتاء: الهرايس بعسل النحل وسمْن البقر، وفي الصيف: سويق اللوز بالسكر(٦٥).

---

٦١ - **تاريخ يحيى بن معين**، ٥٠١/٢ برقم ٥٣٦٣، جامعة الملك عبد العزيز، ط ١، عام ١٣٩٩هـ.

٦٢ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢١/٧، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٧/٨.

٦٣ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤.

٦٤ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢١/٧، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٠/٨.

٦٥ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣.

وكان يتخذ لأصحابه الفالوذج، ويضع فيه الدنانير، ليحصل كلّ من أكل أكثر من صاحبه دنانير أكثر منه(٦٦).

٥- **تلبية طلبات ذوي الحاجات:** لقد كان من نفقات الليث رحمه الله تعالى تلبية طلبات ذوي الحاجات، وكان رحمه الله تعالى يتوسّع في تلبية هذه الطلبات، وقد رأينا كيف أرسل للإمام مالك ثلاثين حملاً من عصفر عندما طلب منه شيئاً من عصفر ليصبغ به ثياب العروس والصبيان، فأرسل إليه ثلاثين حملاً من العصفر. وروي منصور بن عمّار عن أبيه قال: أتت امرأةٌ إلى الليث ومعها قدح، فقالت: يا أبا الحارث إن زوجي يشتكي، وقد نُعت له العسل، فقال: اذهبي إلى أبي قسيمة فقولي له يعطيك مطراً ـ والمطر هو الفرق، والفرق عشرون ومائة رطل ـ فذهبت، فلم يلبث أبو قسيمة أن جاء، فسرَّه بشيء، فرفع الليث رأسه إليه وقال له: اذهب فأعطها مطراً، إنها سألت بقدرها، وأعطيناها بقدرنا(٦٧). وروى يحيى بن إسحاق السيْلَحين قال: جاءت امرأةٌ الليث بسُكُرُّجَة ـ إناء يؤكل به ـ فطلبت منه عسلاً لمريض، فأمر من يحمل معها زقّاً من عسل، فجعلت المرأة تَأْبَى، وجعل الليث يَأْبَى إلا أن يُحْمَلَ معها زِقٌ من عسل، وقال نعطيك على قدرنا(٦٨). وروى أبو صالح قال: سألت امرأةٌ الليثَ مَنّاً من عسل، فأمر لها بزقٍّ، فقال له كاتبه، إنَّما سألت مَنّاً، فقال: سألت على قدرها، وأعطيناها على قدر السعة علينا(٦٩). وروى قتيبة قال: جاءت امرأةٌ الليثَ فقالت: يا أبا الحارث، إن ابني عليل، واشتهى عسلاً، فقال: ياغلام، أعطها مرطاً من عسل ـ والمرط عشرون ومائة رطل(٧٠). وروى يحيى بن حمّاد قال: جاءت امرأة إلى الليث بن سعد فقالت: إن لي أخاً نُعِتَ له العسل، فهب لي سُكُرُّجَة، فقال: يا غلام املأ سُكُرُّجَتها عسلاً وأعطها زقّاً من عيل، فقال: إنها سألت سُكُرُّجَة، فقال: سألت بقدرها، وأعطيناها بقدرنا، وحق لي ذلك، إنني امرؤ من أهل أصبهان(٧١).

---

٦٦ - ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤.

٦٧ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧.

٦٨ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٩/٨.

٦٩ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٩/٨.

٧٠ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٨/١٣، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٩/٨.

٧١ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧.

٦- **تطييب القلوب:** ومن النفقات التي كان ينفقها الليث نفقاتٌ الهدف منها تطييب قلوب المعطى لهم، ومن ذلك ما رواه الحارث بن مسكين قال: اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة، فاسْتغْلَوْها، فاستقالوه، فأقالهم، ثم دعا بخريطة فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين ديناراً، فقال له الحارث ـ ابنه ـ في ذلك، فقال الليث: اللَّهم غفراً، أما إنهم كانوا أملوا فيه أملاً، فأحببت أن أعوّضهم عن أملهم بهذا(٧٢).

٧- **نفقات مشروعة:** ومنها أكل المرء من مال صديقه من غير استئذان، فقد روى أشهب بن عبد العزيز قال: خرجنا مرابطين إلى الإسكندرية، فمررنا بجنان الليث بن سعد، فدخلنا، فأكلنا من الثمر، فلما أن رجعتُ، دعتني نفسي إلى أن استحلّ من الليث، فدخلتُ عليه: فقلت: يا أبا الحارث، إنا خرجنا مرابطين، ومررنا بجنتك، فأكلنا من الثمر، وأحببنا أن تجعلنا في حِلٍّ، فقال الليث: يا ابن أخي، لقد نسكت نسكاً أعجمياً، أما سمعت الله يقول: ﴿**أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوْا جَمِيْعًا أَوْ أَشْتَاتًا**﴾ فلا بأس أن يأكل الرجل من أخيه الشيء التافه الذي يُسرُّه بذلك(٧٣).

رحـلاته:

رأَينا أن الليث رحمه الله تعالى ولد في قرية قَرْقَشَنْدَة، من أعمال مصر، سنة أربع وتسعين للهجرة، ثم رحل عنها إلى القاهرة لطلب العلم، وفيها بزغ نجمه، ومنها رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ثلاث عشرة ومائة، وعمره عشرين سنة، وبينما هو في مكة كسفت الشمس، وفي ذلك يقول رحمه الله تعالى: كسفت الشمس ونحن بمكة سنة ثلاث عشرة ومائة، وبها يومئذ رجال كثير من أهل العلم، منهم: الزهري، وأبو بكر بن حزم، وقتادة، وعمرو بن شعيب، فقمنا قياماً بعد العصر ندعو الله تعالى، فقلتُ لأيوب بن موسى القرشي: ما لهم لا يصلّون، وقد صلّى النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ قال: النهي قد جاء في الصلاة بعد العصر أن تصلَّى، فلذلك لا يصلّون، وإن النهي يقطع الأمر(٧٤)، وفي مكة سمع في هذه الرحلة من طائفة من أهل العلم، منهم: الزهري، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، وأبي الزبير الملكي وغيرهم. قال الليث: قدمت مكة، فجئتُ أبا الزبير، فدفع

---

٧٢ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤، الزركلي: **الأعلام**، ٢٤٩/٨.

٧٣ - ابن عبد البر: **التمهيد**، ٢٠٩/١٤، وزارة الأوقاف، عام ١٢٨٧هـ.

٧٤ - **أحكام القرآن** للجصاص، ٢٧١/٣، ط ١، مطبعة الأوقاف الإسلامية، عام ١٢٢٥هـ.

إليَّ كتابين، فانقلبت بهما، ثم قلتُ: لو عاودته، فرجعت إليه فسألته: أسمعت هذا كله من جابر بن عبد الله؟ فقال: منه سمعته، ومنه ما حُدِّثتُ به، فقلت له: علِّم لي على ما سمعت، فعلَّم لي على هذا الذي عندي(٧٥).

وفيها التقى بالإمام أبي حنفية رحمه الله تعالى فأعجب به وبفهمه وبحضور بديهته، يقول الليث رحمه الله تعالى دخلت مكة فوجدت الناس مزدحمين على رجل، فقلت: من هذا؟ قيل: أبو حنيفة، فدنوت منه ورجل يسأله عن ولد له لا يزوّجه امرأة إلا طلّقها، ولا سريّة إلا أعتقها، فقال له أبو حنفية: اشتر جارية وزوّجها منه، إن أعتقها لم يلزمك عتقه، لأنها مالُك، وإن طلقها بقيت في ملكك، ولم يدخل عليك فساد في مالِك، قال الليث: فعجبتُ من فهمه وسرعة جوابه(٧٦).

ولا بد لمن وصل أرض الحجاز من غير أهلها أن يعرّج على المدينة المنورة مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليزور مسجدها، ويسلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المدينة التقى الليث بن سعد بعلمائها، ومنهم: نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه، قال الليث: دخلتُ على نافع، فسألني، من أين أنت؟ فقلت: أنا مصري، فقال: ممّن؟ قلت: من قيس، قال: ابن كم؟ قلت: ابن عشرين، فقال: أما لحيتك فلحية ابن أربعين(٧٧) ـ أي: لعظمها ـ وفي المدينة المنوّرة لقي إمام دار الهجرة مالك بن أنس، فسمع منه الموطأ، ثم أسمعه يحيى بن كثير(٧٨) وأهداه مالكٌ طبقاً فيه تمر، فردّه إلى مالك وفيه ألف دينار(٧٩)، وتوطّدت الصداقة بينهما، حتى بلغ الأمر بالليث أن يصل الإمام مالك بمئة دينار، يرسلها إليه كل عام(٨٠)، وحتى بلغ الأمر بالإمام مالك إلى أن يكتب للّيث بحاجته المادية دون حرج، فكتب إليه مرّة يخبره بدَيْن لزمه، فأرسل إليه الليث بخمسمائة دينار(٨١)، وكتب إليه بحاجته إلى شيء من عصفر ليصبغ به ثياب ابنته العروس وأخواتها، فأرسل إليه بثلاثين حمل من العصفر(٨٢)، وبذلك نعلم مدى الصداقة التي ربطت بين الإمامين العظيمين.

---

٧٥ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥٩/٨.

٧٦ – محمد بن يوسف: **التاج والإكليل**، ١٠٢/٥، مكتبة النجاح، عام ١٢٢٩هـ.

٧٧ – الزركلي: **الأعلام**، ١٤٥/٨.

٧٨ – ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ٣٥٣/١.

٧٩ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، أبو نعيم الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٣/٧، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤ و ١٣١.

٨٠ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٨/٨.

٨١ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**،٧/١٣، الذهبي: و**تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، و**وفيات الأعيان**: ١٣٠/٤.

٨٢ – الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، **وصفة الصفوة**: ٣٠٩/٤.

وفي المدينة كان الليث يجلس عند ربيعة بن عبد الرحمن المعروف بـ "ربيعة الرأي ـ شيخ الإمام مالك، يناظر العلماء في المسائل، وقد فاق أهل الحلقة(٨٣)، قال الدراوردي: رأيت الليث عند يحيى بن سعيد وربيعة، وإنهما ليُرَجْرِجَانِ له رَجْرَجَةً ـ أي: يضطربان ـ ويعظمانه(٨٤). ومن المدينة أراد أن يرحل إلى بغداد حيث كان يقيم الإمام الزهري في الرُّصَافَة، ليلقاه، وكان قد حمل عنه علماً كثيراً، ولكنه لم يلبث أن عدل عن هذه الرحلة، لما وجده في دخيلة نفسه مما يبعده عن تمام الإخلاص لله تعالى في هذه الرحلة، فقد قال رحمه الله: "كتبتُ من علم محمد بن شهاب الزهري علماً كثيراً، وطلبتُ ركوب البريد إليه إلى الرُّصَافة، فخفت ألاّ يكون ذلك لله تعالى، فتركته"(٨٥).

ويظهر أن رحلاته إلى الإسكندرية قد تكرّرت، ومنها تلك الرحلة التي رحلها سنة ١١٧هـ، وكان الهدف من هذه الرحلة لقاء الأعرج والسماع منه، ولكن الليث ما وصل الإسكندرية حتى وجد الأعرج ميِّتاً، فصلّى عليه ثم عاد إلى القاهرة، قال الليث رحمه الله تعالى ارتحلتُ إلى الإسكندرية إلى الأعرج، فوجدته قد مات، فصليتُ عليه(٨٦)، ويظهر أن هذه الرحلة هي غير الرحلة التي رافقه فيها ثلاثة سفن، سفينة لضيوفه، وسفينة لمطبخه، وسفينة لأهله(٨٧).

وزار بيت المقدس، وكانت زيارته له ما بعد سنة ست وثلاثين ومائة، لأنه لقي الخليفة أبا جعفر المنصور فيه، وأبو جعفر ولي الخلافة ما بين عامي ست وثلاثين ومائة، وثمان وخمسين ومائة، ورحل المنصور عن بيت المقدس قبله، فودّعه الليث، روى شعيب بن الليث بن سعد عن أبيه قال: لما ودّعتُ أبا جعفر ببيت المقدس قال: أعجبني ما رأيتُ من شِدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك، قال شعيب: كان أبي يقول: لا تُخبروا بهذا ما دمتُ حيّاً(٨٨).

---

٨٣ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٥/١٣، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٥/٨.

٨٤ – ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨.

٨٥ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٥/١٣، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤.

٨٦ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥٥/٨.

٨٧ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤.

٨٨ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥١/٨.

ورحل في شوّال من عام إحدي وستين ومائة إلى العراق ومعه كاتبه أبو صالح[٨٩] ودخل بغداد وشهد فيها عيد الأضحى[٩٠]، وأمر الخليفة المهدي الناس باغتنام فرصة وجود الليث في بغداد وملازمته، فقد قال ليعقوب بن داود، ولزيد المهدي، الْزِمَا هذا الشيخ ـ يعني: الليث ـ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه[٩١]. فاجتمع عليه طلاّب العلم، فكان يحدّثهم من فوق عِلِّيَّة، قال كاتبه أبو صالح: كان الليث يقرأ بالعراق من فوق علية على أصحاب الحديث، والكتاب بيدي، فإذا فرغ، رميت به إليهم،فنسخوه[٩٢].

ونحن لا نشك في أن الليث الذي أعجب بالإمام أبي حنيفة حين رآه في مكة قد استفاد في رحلته العراقية هذه كثيرا من تلاميذ أبي حنيفة وفقههم، حتى ظهر أثر ذلك في فقهه، وحتى نعته بعضهم بأنه كان حنفي المذهب[٩٣].

وزار العراق ثانية في خلافة هارون الرشيد، في جملة من استقدمهم الرشيد من سائر الأقطار من رؤوس العلماء، ليفتوه في قوله لزوجته زبيدة: "أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة"، فعجز العلماء، وأعياهم الجواب، وفتح الله تعالى به على الليث بن سعد، فأفتاه، وفرج عنه، كما ستأتي القصة مفصّلة ـ إن شاء الله تعالى ـ عند كلامنا على استشارة الخلفاء له.

طبقته:

كان الليث بن سعد رحمه الله تعالى من تابعي التابعين، روى عن خلق كثير من التابعين، كعطاء ونافع مولى عبد الله بن عمر، وأبي الزبير الملكي، والزهري، وقيل: أدرك نَيِّفاً وخمسين تابعيا[٩٤].

عبقريته ورجاحة عقله:

رجاحة العقل والعبقرية ليستا في حفظ ما يقال ثم ترديده، ولكن رجاحة العقل تكمُن في صدق المحاكمة، وسداد الفكر، وبعد النظر، وهذا ما توفّر للّيث بن سعد رحمه الله تعالى بشكل عال،

---

٨٩ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٤/١٣، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨.

٩٠ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٤/١٣.

٩١ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٥/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٥/١.

٩٢ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥٣/٨.

٩٣ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤.

٩٤ – الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٤/٧، **وصفة الصفوة**: ٣١٣/٤.

شهد له بذلك الخليفة أبو جعفر المنصور حين لقيه في بيت المقدس، وقال له "أعجبني ما رأيت من شِدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك"(٩٥).

العبقرية إنما تكمُن في تعلّم العلوم وهضمها، ثم إخراجها إبداعاً، وهذا ما نجده وافراً عند الليث بن سعد رحمه الله تعالى فقد حفظ الليث القرآن والحديث، واطّلَع على النتاج الفكري لأهل العلم، وبرع في العربية التي هي أداة الفهم الدقيق، ثم صاغ ذلك كله صياغة فكرية جديدة كان فيها مبدعاً غير مقلّد، ولذلك كان نتاجه أكبر من حفظه، وأعظم مما جُمِعَ وُدوِّنَ في الكتب، قال أبو محمد بن أبي القاسم، قلت لليث: أمتع الله بك يا أبا الحارث، إنا نسمع منكَّ الحديث ليس في كتبك، قال: أوَ كلَّ ما في صدري في كتبي، لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب(٩٦). وروى أبو حفص عمر بن سلمة قال: تكلّم الليث بن سعد في مسألة، فقال له رجل: يا أبا الحارث، في كتابك غير هذا، قال: في كتابنا ـ أو في كتبنا ـ ما إذا مرَّ بنا هذَّبناه بعقولنا وألسنتنا(٩٧).

هذا العلم الجمّ، وهذا العقل الراجح، وهذا البعد في النظر، وهذه العبقرية الفذّة، هي التي أهّلته لمجالسة كبار العلماء، وانتزاع احترامهم له وهو في حدود العشرين من عمره، قال شرحبيل بن جميل "أدركت الناس أيام الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان الليث بن سعد حدّث السنّ، وكان بمصر عبيد الله بن جعفر، وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يزيد، ويزيد بن أبي حبيب، وابن هبيرة، وغيرهم من أهل مصر، ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة المنورة، وإنهم ليعرفون للّيث فضله وورعه وحسن إسلامه على حداثة سنّه(٩٨)، وهي التي أهلته لأن يستشيره الخلفاء في الأمور العظام، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

علمه:

لقد شهد العلماء للّيث بالتفوُّق في علوم عديدة، حتى قال يحيى بن بكير: ما رأيت أحداً أكمل من الليث، كان فقيه البدن، عربي اللسان، يحسن القرآن، والنحو، ويحفظ الحديث، والشعر،

---

٩٥ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥١/٨.

٩٦ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٢/٤، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨.

٩٧ – الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧.

٩٨ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٥/١٣، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٦/٨.

حسن المذاكرة[٩٩]، وقد كثرت أقوال العلماء في الثناء عليه فقال فيه الإمام أحمد: الليث كثير العلم، صحيح الحديث[١٠٠]. وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث وابن أبي ذئب[١٠١]. وقال أبو يعلى الخليلي: كان الليث إمام وقته بلا مدافعة[١٠٢]. وقال ابن وهب: لولا مالك والليث لضلّ الناس[١٠٣]. وقال العلاء بن كثير: الليث بن سعد سيدنا وإمامنا وعالمنا[١٠٤]. ونعته يحيى بن سعيد الأنصاري بأنه إمام يقتدى به، وذلك في قصة رواها يحيى بن بكير قال: قال الليث: كنت بالمدينة المنورة مع الحجاج، وهي ـ أي المدينة ـ كثيرة السرقين ـ وهو روث الحيوانات فكنت ألبس خفّين، خفّا فوق خفّ، فإذا بلغت باب المسجد نزعت أحدهما ودخلت، فقال يحيى بن سعيد الأنصاري: "لا تفعل هذا، فإنك إمام منظور إليك"[١٠٥] يريد لبس خفّ فوق خفّ.

وكتب إليه الإمام مالك من المدينة رسالة ـ سنذكرها بنصّها عند كلامنا على فقهه ـ جاء فيها: "... وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاء منك ... إلخ"[١٠٦]. فرد عليه الليث برسالة لطيفة، سنذكرها أيضا عند حديثنا عن علمه بالفقه، وكان الإمام مالك يرى الإمام الليث بن سعد ممن يرضى عنه علما وحفظا ومسلكا، وكان إذا حدّث عنه قال: "حدثني من أرضى من أهل العلم ..." إعلاء لشأنه، قال ابن وهب: كل ما كان في كتب مالك "وأخبرني من أرضى من أهل العلم" فإنه يراد به الليث بن سعد[١٠٧].

---

٩٩ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٦/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٥/١، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨.

١٠٠ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥٤/٨.

١٠١ – ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨.

١٠٢ – نفس المصدر، ٤٠٤/٨.

١٠٣ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤.

١٠٤ – الزركلي: **الأعلام**، ١٦١/٨.

١٠٥ – ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٤/٨.

١٠٦ – ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٦/٨.

١٠٧ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٧/١٣، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٧/٨.

وكان رحمه الله تعالى لا يقف عند الألفاظ بل يتجاوزها إلى المقاصد، وكان كثير الإبداع، قال شعيب بن الليث: قيل لليث: إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك، فقال: أو كل ما في صدري في كتبي، لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب[١٠٨]. وكان يمزج العقل بالعلم، ويشدّ به عضده، شهد له بذلك الخليفة أبو جعفر المنصور فقال له: "أعجبني شِدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك[١٠٩]. إن المتتبع لِمَا نُقِلَ لنا عن الليث بن سعد من العلوم يلاحظ تفوُّق الليث في ثلاثة علوم هي: اللغة العربية، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وسنتكلم على مكانة الليث في كل علم من هذه العلوم فيما يلي:

١- علمه بالعربية:

كان الليث بن سعد لغويا نحريرا، لقي الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي توفي سنة سبعين ومائة هجرية ـ واضع أول معجم في العربية، وهو: **معجم العين** ـ وناظره[١١٠]، وقد جمع الليث بن سعد عن الفراهيدي **كتاب العين**، كما أفاد الزبيدي[١١١] وأثناء جمعنا لفقهه عثرنا على تحقيقات لغوية، وتفسيرات كثيرة لغريب اللغة، لو جمعت لكوّنت للقارىء فكرة واضحة عن مدى متانة الليث بن سعد في اللغة، نذكر من ذلك.

- قوله في "مكة وبكة" سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي: تدقها، والبك: الدق[١١٢].
- وقوله في "المسيح" معرب، أصله بالشين المعجمة، فعلى هذا لا اشتقاق له[١١٣].
- وقوله في "العاج" لا يسمى غير الناب عاجا، والعاج ظهر السلحفاة البحرية[١١٤].

---

١٠٨ - الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٢/٤، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨.

١٠٩ - الزركلي: **الأعلام**، ١٥١/٨.

١١٠ - **معجم البلدان**، ١٢٦/٤ "قرض ممغنط، مركز التراث، مكتبة الفقه وأصوله، إصدار عام، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١١١ - النووي: **تحرير التنبيه**، ص ١٢٦، دار القلم، بيروت.

١١٢ - النووي: نفس المصدر، ص ١٥٢.

١١٣ - النووي: نفس المصدر، ص ٢٩٧.

١١٤ - محمد بن أحمد الرملي: **نهاية المحتاج**، ٣٨٤/٢، ط/ دار إحياء التراث العربي.

- وقوله في "الفروة": قال ابن السكيت: قال الزبيدي: الفرو والفروة: التي تلبس. فسوى بينهما، ورأيت في العين، الكتاب المنسوب إلى خليل: وإنما هو من جمع الليث عن الخليل: قال: الفرو: واحد الفراء، فإذا كان كالجبة فاسمه: فروة(١١٥).
- وقوله في "شعير" بفتح الشين على المشهور، ويقال بكسرها، قال ابن مكي: شعير، وسعيد، وبعيد، وشهدت بكذا، ولعبت، بكسر أوله، وكذا كل ما كان وسطه حرف حلق، مكسور، وهي لغة بني تميم، وزعم الليث: أن قوما من العرب يقولون في كل ما كان على فعيل. فعيل، بكسر أوله وإن لم يكن حرف حلق، فيقولون: كثير، وكبير، وجليل، وكريم(١١٦).
- وقوله في "لقطة" روى الليث عن مظفر عن خليل أنه قال: اللقطة: الذي يلقط الشيء ـ بتحريك القاف ـ واللقطة: ما يلقط ـ بسكون القاف ـ قال أبو منصور الأزهري: وهذا الذي قاله قياس، وأجمع أهل اللغة ورواة الأخبار على أن اللقطة هي الشيء الملتقط(١١٧).
- وقوله في "الخسوف" الشمس تخسف يوم القيامة خسوفا، وهو دخولها في السماء كأنها تكوّرت في جحر(١١٨).
- وقوله في "الظرف من الحجارة" ما كان أصله ناتئا من جبل أو أرض حزنة، وكان طرفه الثاني محدودا.
- وقوله في "عرفت بأعشاش" أي: عزفت بكرهك عمن تحب، يقال: أعششت القوم أعشاشا: نزلت بهم كارهين، فرحلوا بكراهية(١١٩).

---

١١٥ – النووي: **تحرير التنبيه**، ص ٣١٨.

١١٦ – المصدر السابق.

١١٧ – أبو منصور الأزهري: **الزاهر**، ٢٦٤، وزارة الأوقاف، ط ١، عام ١٢٩٩هـ.

١١٨ – نفس المصدر السابق، ١٢١. وقد علق محقق **الزاهر** حين أورد الأزهري هذا الخبر بأن المراد بالليث هنا: هو الليث بن نصر على ما في **بغية الوعاة**، وابن الظفر على ما في **التهذيب**، وكذلك فعل في الصفحة ٢٦٤ من **الزاهر**، ولم يعلق على ذلك المراجعان، **وأقول**: إن المراد بالليث هنا هو الليث بن سعد، لأن لفظ "الليث" إذا أطلق فإنما يراد به الليث بن سعد دون غيره، ولأن التفسيرات التي قدَّمها هي تفسيرات لمصطلحات شرعية، فضلا عن أن الليث بن سعد كان من أئمة اللغة ومن أئمة الفقه ـ والله أعلم.

١١٩ – عبد الله البكري: **معجم ما استعجم**، صفحة ١٧١، عالم الكتب بيروت، عام ١٢٧هـ.

- وقوله "الطلس والطلسة" مصدر الأطلس من الذئاب، وهو الذي تساقط شعره، وهو أخبث ما يكون، قال: والطيلسان ـ بفتح اللام منه، ويكسر ـ ولم أسمع فيعلان بكسر العين، إنما يكون مضموما كالخيزران، والخيسمان، ولكن لما صارت الكسرة والضمة أختين، اشتركتا في مواضع كثيرة، ودخلت الكسرة مدخل الصمّة(١٢٠).
- وقوله في "العشرين" في حوار له مع الخليل بن أحمد حكاه هو رحمه الله تعالى فقال: قلت للخليل: ما معنى العشرين؟ قال: جماعة عشر من أظماء الإبل، قلت: فالعشر كم يكون؟ قال: تسعة أيام، قلت: فعشرون ليس بتمام، إنما هو عشران ويومان، قال: لما كان من العشر الثالث يومان جمعة بالعشرين قلت: وإن لم يستوعب الجزء الثالث؟ قال: نعم، ألا ترى قول أبي حنيفة: إذا طلقها تطليقتين وعشر تطليقة فإنه يجعلها ثلاثا، وإنما فيه من التطليقة الثالثة جزء، فالعشرون هذا قياسه، قلت: لا يشبه العشر التطليقة، لأن بعض التطليقة تطليقة تامة، ولا يكون بعض العشر عشرا كاملا، ألا ترى لو قال لامرأته أنت طالق نصف تطليقة أو جزءا من مائة تطليقة كانت تطليقة تامة، ولا يكون نصف العشر وثلث العشر عشرا كاملا. والصحيح عند النحويين أن هذا الاسم ـ العشرين ـ وضع لهذا العدد بهذه الصيغة، وليس بجمع لعشر(١٢١).

٢- روايته للحديث:

أ- **توثيقه:** اتفق علماء الجرح والتعديل: الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو حاتم، والعجلي، وغيرهم على أن الليث بن سعد ثقة ثبت، وكان الإمام أحمد يرفض من يضعّفه ويتّهمه بالجهل، فقد قيل له: إن فلانا ضعّف الليث، فقال: لا يدري(١٢٢).

ولكن اتفق الإمام أحمد ويحيى بن معين على أنه كان في أخذه للحديث سهولة(١٢٣)، فقد ذكر كاتبه أبو صالح: أنه كان يجيز كتب العلم لمن يسأله، ويرى ذلك جائزا واسعا(١٢٤)، ولعل من

---

١٢٠ - ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ٥٦/٤، مطبعة السعادة، ط ١.

١٢١ - ياقوت الحموي: نفس المصدر، ١٢٦/٤.

١٢٢ - الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١٢/١٣، أبو يعلي: **طبقات الحنابلة**، ص ٤٧، مطبعة السنّة المحمّدية، ط ١/، والزركلي: **الأعلام**، ١٥٤/٨.

١٢٣ - ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٥/٨.

١٢٤ - المصدر السابق.

ذلك: ما حكاه يعقوب بن شيبة، ويحى بن معين قالا: إن حديثه عن الزهري فيه اضطراب(١٢٥)، وقال عمرو بن علي: سماعه عن الزهري قراءة(١٢٦). وما حكاه ابن حجر أن حديث الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر، وعن بكير بن عبد الله بن الأشج إنما كان مناولة، ولكن الإمام أحمد بن حنبل أنكر ذلك وقال: إن الليث بن سعد سمع من بكير بن عبد الله بن الأشج نحو ثلاثين حديثا(١٢٧).

ب- روايته بالإسناد العالي: روى الليث بن سعد رحمه الله تعالى بالعديد من الأسانيد العالية في عصره، فروى عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة، وعن ابن أبي مليكة عن ابن عباس، وعن المقبري عن أبي هريرة(١٢٨)، وروي عن نافع عن ابن عمر(١٢٩).

ج- طائفة من شيوخه: سمع الليث بن سعد رحمه الله تعالى وروى عن خلق كثير، نذكر طائفة منهم مرتبين على حروف الهجاء، وهم: إبراهيم بن أبي عليّة، وإبراهيم بن نشيط، وأيوب بن موسى، وبكرة بن سوادة، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يعقوب، والحارث بن يزيد الحضرمي، والحسن بن ثوبان، وحكيم بن عبد الله بن قيس، وحنين بن أبي حكيم، وخالد بن أبي عمران، وخالد بن يزيد المصري، وخير بن نعيم، ودراج أبو السمح الواعظ، وأبو الزبير المكي، وأبو الزناد، وزهرة بن معبد، والزهري، وسعيد بن بشير، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وسعيد المقبري، وسعيد بن أبي هلال، وسعيد بن يزيد، وأبو شجاع، وشعيب بن إسحاق الدمشقي، وأبو صالح ـ كاتبه ـ، وصفوان بن سليم، وعامر بن يحيى المعافري، وعبد الله بن حكيم، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وعبد الله بن المبارك، وعبد ربه بن سعيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد العزيز الماجشون، وعبد الوهاب بن وهب، وعبيد الله بن أبي جعفر، وابن عجلان، وعطاء بن أبي رباح، وعقيل بن خالد، وعقيل بن يزيد، وعمر مولى خفرة، وعميرة بن أبي ناجية، وأبو قبيل المعافري، وقتادة، وأبو كثير الجلاح، وكثير بن فرقد، ومحمد بن يحيى بن حبّان، ومشرح بن هاعان، ومعاوية بن صالح، وأبو معشر، وابن أبي مليكة، وموسى بن علي بن رباح، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن سعيد، وهشام بن عروة، وهشيم بن بشير، ويحيى بن أيوب، ويحيى بن

---

١٢٥ - ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٣/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٥/٨.

١٢٦ - نفس المصدر، ٤٠٣/٨.

١٢٧ - نفس المصدر، ٤٩٣/٨ و ٤٠٥.

١٢٨ - الزركلي: **الأعلام**، ١٥٩/٨.

١٢٩ - انظر: **صحيح مسلم**: في الهبات، باب كراهية شراء الإنسان ما تصدّق عليه، وفي الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي.

سعيد الأنصاري، ويحيى بن عبد الرحمن بن غنم، ويزيد بن أبي حبيب، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، ويزيد بن محمد القرشي، ويونس بن يزيد. وغيرهم....

د- بعض من روى عنه: روى عن الليث خلق كثير، نذكر بعضهم مرتبين هجائيا، وهم: آدم بن أبي إياس، أحمد بن عبد الله بن يونس، أشهب بن عبد العزيز، بشر بن السري، أبو الجهم (ر: العلاء بن موسى)، حجاج بن محمد، حجين بن المثنّى، الحسن بن سوار، حيان بن علي العتري، داود بن منصور، زيد بن الحباس، زيد بن يحيى بن عبيد، سعيد بن سليمان، سعيد بن شرحبيل، سعيد بن كثير بن عفير، سعيد بن أبي مريم، أبو سلمة الخزاعي، شبابة بن سوار، شعيب بن الليث بن سعد، أبو صالح عبد الله بن صالح الجهني، عبد الله بن عبد الحكم، عبد الله بن المبارك، عبد الله بن نافع الصائغ، عبد الله بن وهب، عبد الله بن يزيد المقري، عبد الله بن يحيى البرلس، عبد الله بن يوسف الدمشقي، أبو عبد الرحمن المقري، عطاف بن خالد، العلاء بن موسى الباهلي، علي بن عياش الحمصي، علي بن نصر الجهني الكبر، عمرة بن الربيع بن طارق، عمر بن خالد الحراني، عيسى بن حماد بن زغبة، والقاسم بن كثير الاسكندراني، وقتيبة بن سعيد، وقراد أبو نوح، والقعنبي، وقيس بن الربيع، وكامل بن طلحة، وابن لهيعة، ومحمد بن الحارث بن راشد المصري، ومحمد بن رمح بن المهاجر، ومحمد بن عجلان، ومنصور بن سلمة، وموسى بن داود، أبو النضر هاشم بن القاسم، وهاشم بن القاسم، وهجين بن المثنّى، وهشام بن سعد، وهشيم بن بشير، وأبو الوليد الطيالسي، ويحيى بن إسحاق البلخي، ويحيى بن إسحاق السيلحيني، ويحيى بن عبد الله بن بكير، ويحيى بن يحيى الليثي، ويحيى بن يحيى التميمي، ويحيى بن يحيى القرطبي، ويحيى بن يحيى النيسابوري، ويزيد بن موهب الرملي، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد، ويونس بن محمد المؤدّب.

هـ- مروياته: لو تتبعنا ما رواه الليث بن سعد رحمه الله تعالى في كتب الحديث والآثار لأمكننا أن نجمع منه مسندا قيّما، وأكثر من روى لليث ابن ماجة في **سننه**، فقد روى له في سبعة وسبعين موضعا، ثم البيهقي في **السنن الكبرى**، فقد روى له في خمسة وستين موضعا، وروى له ابن حبّان في واحد وأربعين موضعا من **صحيحه**، وروى له مسلم في **صحيحه** في تسعة وثلاثين موضعا، وروى له الحاكم في **المستدرك** في ستة وعشرين موضعا، وروى له أبو عوانة في **مسنده** في أربعة وعشرين موضعا، وروى له الطبراني في **معجمه الكبير** في اثنين وعشرين موضعا، وروى له في **معجمه الأوسط** في خمسة عشر موضعا، وروى له أبو داود في **سننه** في ستة مواضع، وروى له كل من الترمذي في

سننه، وابن خزيمة في **صحيحه**، والشافعي في **مسنده** في أربعة مواضع، وروى له الإمام أحمد في مسنده في ثلاثة مواضع، ولم يرو له الدارمي في **سننه** إلا في موضع واحد.

ومن مروياته: ما رواه مسلم في صحيحه قال: حدثنا يحيى بن يحيى، وقتيبة، وابن رمح، عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح، وبَدَا الصبح ركع ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة"(١٣٠).

وما رواه مسلم قال: حدثنا قتيبة بن سعيد وابن رمح، جميعا، عن الليث بن سعد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب حمل على فرس في سبيل الله، فوجده يباع، فأراد أن يبتاعه، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقال: "لا تبتعه، ولا تعد في صدقتك"(١٣١).

وما رواه عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد، قال: حدثني أبي عن جدي قال: حدثني عقيل بن خالد، قال، قال: ابن شهاب: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبي هريرة أنه قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، قال يعني: أبا بكر الراوي عن أبي هريرة يلحق معهن: ولا منهب نهبة حين ينتهبها وهو مؤمن"(١٣٢).

وروى غيرها من الأحاديث كثيرا، ذكر أبو نعيم الأصبهاني حين ترجم للّيث بن سعد في **حلية الأولياء** طائفة طيبة منها.

٣- فقهه:

لقد كان الإمام أبو حنفية، والإمام مالك، والإمام الليث بن سعد من مدرسة فقهية واحدة، تلك هي: مدرسة أهل الرأي، ولذلك تقاربت أصولهم، وأصبح يعرف حكم المسألة عند بعضهم من بعضهم الآخر، حتى وصل الأمر عند الحنفية إلى أن يقولوا: إذا طلبت حكم مسألة عندنا فلم تجده فاطلبه عند المالكية، فإن وجدته فخذ به فهو مذهبنا(١٣٣). ولذلك عَمِيَ على البعض مذهب الليث بن سعد، حتى ظنّه البعض أنه كان حنفيا، قال ابن خلكان "رأيت في بعض المجاميع أن الليث بن سعد

---

١٣٠ - مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر.

١٣١ - رواه مسلم في الهبات، باب كراهية شراء الإنسان ما تصدّق به ممّن تصدق عليه.

١٣٢ - رواه مسلم في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية.

١٣٣ - ابن عابدين: **رد المحتار على الدر المختار**، ٥٣٨/٢، وزارة الأوقاف، ط ١، ١٢٩٩هـ.

كان حنفي المذهب[١٣٤]، ولعل الذي قال هذه المقولة رأى كثرة موافقة الليث لأبي حنيفة، ورأى إعجاب الليث الشديد بالإمام أبي حنيفة حين دخل مكة، ولنترك الليث نفسه يحدثنا عن ذلك، قال الليث: وجدتُ الناس مزدحمين على رجل، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبو حنيفة، فدنوت منه، ورجل يسأله عن ولد له لا يزوجه امرأة إلا طلقها، ولا سريّة إلا أعتقها، فقال له أبو حنيفة: اشتر جارية وزوجها منه، فإن أعتقها لم يلزمك عتقه، لأنها مالك، وإن طلقها بقيت في ملكك، ولم يدخل عليك فساد في مالك، قال الليث: فعجبت من فهمه وسرعة جوابه[١٣٥].

وظنّه البعض الآخر مالكيا: فقد ذكر محمد بن يوسف العبدري المالكي، المعروف بـ "المواق" في **التاج والإكليل** أن رجلا تزوّج امرأة،ثم مات قبل البناء، وكان قد تزوّجها على مهر كالئ، ولم يؤرّخا أجل الكالئ، فأفتيت فيها بالإرث مراعاة لقول الليث وابن وهب من أصحاب مالك.

والحق أن الليث رحمه الله تعالى تفقّه بمالك، ولكنه لم يلبث أن تحرّر من الالتزام بأقوال الإمام مالك رحمه الله تعالى وأخذ يختار لنفسه[١٣٦]، واستقلّ عن مالك رحمه الله تعالى، قال ابن النديم: "الليث بن سعد من أصحاب مالك، وعلى مذهبه، ثم اختار لنفسه". ولكنه لم يلبث أن فاق أستاذه مالكا، وقد شهد له بهذا التفوُّق أئمة أعلام، منهم الشافعي رحمه الله تعالى، فقد كان يقول: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به[١٣٧]، وفي رواية: إلا أن أصحابه ضيّعوه[١٣٨]، ومن أساب تفوُّق الليث على الإمام مالك في الفقه ـ كما يرى الشافعي ـ أن الليث كان أتبع للأثر من الإمام مالك[١٣٩] ـ كما سيظهر لنا ذلك من الرسالة التي وجهها الإمام الليث إلى الإمام مالك نفسه، رحمهما الله تعالى، والتي سنذكرها بنصّها بعد قليل إن شاء الله تعالى، ولذلك فإن من الأمور التي كان الشافعي يتحسّر عليها هو فواته الأخذ عن الليث، فقد روى يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت

---

١٣٤ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤.

١٣٥ – محمد بن يوسف: **التاج والإكليل**، ١٠٢/٥.

١٣٦ – ابن النديم: **الفهرست**، ٢٨١/١.

١٣٧ – الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٤/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٧/٤، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٦/٨.

١٣٨ – ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٥/١.

١٣٩ – الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٤/١، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣١٩/٧، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٦/٨.

الشافعي يقول: ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث وابن أبي ذئب. كما اعترف يحيى بن بكير بتفوّق الليث بن سعد في الفقه على الإمام مالك، وكان يقول: الليث أفقه من مالك، لكن الحظوة لمالك(١٤٠).

بل لقد أسرف بعضهم في تفضيل الإمام الليث بن سعد على الإمام مالك بن أنس في الفقه حتى روي عن سعيد بن أبي أيوب أنه قال: لو أن مالكا والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أخرس، ولباع الليث مالكا في "من يزيد"(١٤١)، وهي عبارة أستبعد أن تصدر عن عالم في حق عالم جليل كالإمام مالك، وهي رواية ـ كما يقول الذهبي ـ لا يعلم راويها عن سعيد بن أيوب، فهي من حيث الإسناد ساقطة(١٤٢). ورغم تفوُّق الإمام الليث على أستاذه الإمام مالك في العلم، إلا أنه لم يقطع حبل الودّ بينه وبينه، ولم ينقطع عن الحوار معه في معضلات العلم ليستأنس برأيه، ونحن نورد هنا ـ إن شاء الله تعالى ـ نموذجا طيّباً من المراسلات التي كانت تجري بين الإمامين الجليلين مالك والليث، ومنها يتضح لنا مستوى هذه المراسلات، ومستوى الحوار العلمي الذي كانت تحمله هذه الرسائل. فقد كتب مالك بن أنس إلى الليث بن سعد:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: عصمنا الله وإياك بطاعته في السرّ والعلانية، وعافانا وإياك من كل مكروه. كتبت إليك وأنا ومن قبلي من الأهل والولدان على ما تحب، والله محمود.

أتانا كتابك، تذكر من حالك ونعمة الله عليك الذي أنا به مسرور، أسأل الله تعالى أن يتم علي وعليك صالح ما أنعم علينا وعليك، وأن يجعلنا له شاكرين، وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها لك، وأبعث بها إليك، وقد فعلت ذلك، وغيّرت منها ما غيّرت، حتى صحّ أمرها على ما يجب، وختمت على كل قنداق منها بخاتمي، ونقشه "حسبي الله ونعم الوكيل". وكان حبيبا إلي حفظك وقضاء حاجتك، وأنت لذلك أهل، وصبرت لك نفسي في ساعة لم أكن أعرض فيها لأن أنجح

---

١٤٠ – الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٥/١، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٤/٨، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٦/١، الزركلي: **الأعلام**، ١٥٦/٨.

١٤١ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٦/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٠/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٧/٨.

١٤٢ – الزركلي: **الأعلام**، ١٤٧/٨.

لك، فتأتيك مع الذي جاءني بها، حتى دفعتها إليه، وبلغت من ذلك الذي رأيت أنه يلزمني لك في حقك وحرمتك، وقد نشطني ما استطعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك، ورجوت أن يكون لها عندك موضع، ولم يكن يمنعني من ذلك قبل اليوم إلا أن يكون رأيي لم يزل فيك جميلا، إلا أنك لم تذاكرني شيئا من هذا الأمر، ولا تكتب فيه إليّ.

واعلم ـ رحمك الله ـ أنه بلغني أنك تفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا، وببلدنا الذي نحن به، وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاء منك، حقيق بأن تخاف على نفسك، وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله عزّ وجل يقول في كتابة ﴿**وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ**﴾ وقال تعالى: ﴿**الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ فإنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأُحِلّ الحلال، وحُرِّمَ الحرام، إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيتبعونه، ويسنّ لهم فيتبعونه، حتى توفّاه الله، واختار له ما عنده صلى الله عليه وسلم، ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته، ممن ولي الأمر من بعده، فما نزل بهم، فما علموا أنفذوه، وما لم يكن عندهم علم فيه سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا من ذلك باجتهادهم، وحداثة عهدهم، فإن خالفهم مخالف، أو قال امرؤ: غيري أقوى منه وأولى، ترك قوله وعمل بغيره، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل، ويتبعون تلك السنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا معمولا به لم أر خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لحد انتحالها، ولا ادعاؤها، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون: هذا العمل ببلدنا، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يجز لهم من ذلك مثل الذي جاز لهم.

فانظر ـ رحمك الله ـ فيما كتبت إليك فيه لنفسك، واعلم أني لأرجو ألا يكون دعائي إلى ما كتبت إليك إلا النصيحة لله عزّ وجل، والنظر إليك، والظنّ بك، فأنزل كتابي منك منزله، فإنك إن تفعل تعلم أني لم آلك نصحا.

وفقنا الله وإياك بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر، وعلى كل حال، والسلام عليك ورحمة الله(١٤٣).

---

١٤٣ – انظر الرسالة في: **تاريخ ابن معين** برقم ٥٤١٢، الجزء، ٤٩٨/٤.

فأجابه الليث بن سعد على رسالته هذه برسالة هذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الليث بن سعد إلى مالك بن أنس.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ـ أما بعد:

عافانا الله وإياك، وأحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وقد بلغني كتابك، تذكر من صلاح حالك الذي سرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمّه بالعون على الشكر له وبه، والزيادة في أحسنه. وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك، وإقامتك إياها، وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا، فآجرك الله فيما قدّمت منها، وإنها كتب انتهت إليَّ عنك، فأحببت أن أبلغ تحقيقها بنظرك فيها.

وذكرت أنه قد نشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة، وأنك ترجو أن يكون لها عندي موضع ـ أو قال يحيى: موقع ـ وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فينا جميلا، إلا أني لم أذاكرك مثل هذا.

وأنه بلغك أني أفتيت بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأنه يحق علي الخوف على نفسي، لاعتماد من قبلي على ما أفتيتم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله، ووقع منّي بالموقع الذي تحب، وما أجد أحدا ينسب إلى العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا ـ أو قال: تفصيلا ـ لعلم أهل المدينة الذين مضوا، ولا أخذا بفتياهم فيما اتفقوا عليه منّي، والحمد لله.

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزول القرآن عليه بين ظهراني أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا تبعا لهم، فكما ذكرت وأما ما ذكرت من قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَآ أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ**﴾ فإن كثيرا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس، وأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله عزّ وجل، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يكتموا شيئا علموه، فكان في كل جند منهم طائفة يعملون بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، ولم يكتموهم شيئا علموه، ويجتهدون رأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنّة، ويقومهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجنادهم، ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين، والحذر

من الخلاف لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، فلم يتركوا أمرا فسّره القرآن أو عمل به النبيّ صلى الله عليه وسلم أو ائتمروا فيه إلا علموهموه، فإذا جاء أَمْرٌ عمِل به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين لم يزالوا عليه حتى قبضوا، لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التابعين لهم، حين ذهب أكثر العلماء، وبقي منهم من لا يشبه من مضى، مع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا بعده في الفتيا في أشياء كثيرة، لولا أني عرفت أن قد علمتها كتبت إليكم بها.

ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سعيد بن المسيّب ونظراؤه، أشد الاختلاف، ثم اختلف الذين من بعدهم، حضرناهم بالمدينة وغيرها، ورأيتهم يومئذ في الفتيا، ابن شهاب، وربيعة بن أبي عبد الرحمن رحمهما الله تعالى فكان من خلاف ربيعة ـ تجاوز عنه ـ لبعض ما مضى، وحضرت وسمعت قولك فيه، وقول ذوي السنّ من أهل المدينة: يحيى بن سعيد، وعبيد الله بن عمر، وكثير بن فرقد، وغيره أي: غير ربيعة كثير من هو أسنّ منه، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه، وذاكرتك أنت وعبد العزيز بن عبد الله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك، فكنتما موافقين فيما أنكرت، تكرهان منه ما أكره، ومع ذلك ـ بحمد لله ـ عند ربيعة خير كثير وعقل أصيل، ولسان بليغ، وفضل مستبين، وطريقة حسنة في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة، ولنا خاصة، رحمه الله، وغفر له، وجزاه بأحسن عمله.

وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا فربما كتب في الشيء الواحد ـ على فضل رأيه وعلمه ـ بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا، ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك الأمر، فهو الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي أياه، وقد عرفت أن مما عبت إنكاري إياه أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر، ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله عزّ وجل، لم يجمع إمام منهم قط في ليلة المطر، وفيهم خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل. وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ"(١٤٤)، ويقال معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة أي: ميل ـ وشرحبيل بن حسنة، وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وقد كان أبو ذر بمصر، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وبحمص سبعون من أهل بدر، وبأجناد المسلمين كلها، وبالعراق

---

١٤٤ – رواه الترمذي في المناقب، باب مناقب معاذ وزيد وأبَيّ بن كعب وأبي ذر.

ابن مسعود، وحذيفة، وعمران بن حصين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونزلها علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه سنين بمن كان معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط.

ومن ذلك: القضاء بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يقضى به بالمدينة، ولم يقض به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام ولا مصر ولا العراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء المهديون الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ثم ولي عمر بن عبد العزيز، وكان كما قد علمت في إحياء السنن، وقطع البدع، والجدّ في إقامة الدين، والإصابة في الرأي، والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه رزيق بن الحكيم: إنك كنت تقضي في المدينة بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحق، فكتب إليه عمر: إنا كنا نقضي بذلك بالمدينة، فوجدنا أهل الشام على غير ذلك، فلا تقض إلا بشهادة رجلين عدلين، أو رجل وامرأتين. ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط في المطر، والسماء تسكب عليه في منزله الذي كان يكون فيه بخناصرة سكبا.

ومن ذلك: أن أهل المدينة يقضون في صدقات النساء أي: مهورهن أنها متى شاءت أن تكلم في مؤخر صداقها تكلمت، يدفع ذلك إليها، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك، وإن أهل الشام وأهل مصر لم يقض أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من كان بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرّق بينهما الموت أو الطلاق، فتقوم على حقها.

ومن ذلك: قولكم في الإيلاء: إنه لا يكون عليه طلاق حتى يوقف ـ وإن مرت عليه الأربعة الأشهر، وقد حدثني نافع عن عبد الله ـ وعبد الله الذي كان يروى عنه ذكر التوقف بعد الأربعة أشهر ـ أنه كان يقول في الإيلاء الذي ذكر الله تعالى في كتابه لا يحلّ للمولي إذا بلغ الأجل إلا أن يفيء، كما أمر الله عزّ وجل، أو يعزم الطلاق؛ وأنتم تقولون: وإن لبث أشهرا بعد الأربعة أشهر التي سمّى الله، ولم يوقف، لم يكن عليه طلاق. وقد بلغنا عن عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله تعالى عنهم أجمعين أنهم قالوا في الإيلاء: إذا مضت الأربعة أشهر فهي تطليقة بائنة، وقال سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وابن شهاب: إذا مضت الأربعة فهي تطليقة، وله الرجعة في العدة.

ومن ذلك: أن زيد بن ثابت كان يقول: إذا ملك الرجل امرأته أمرها، فاختارت زوجها، فهي تطليقة، وإن طلقت نفسها ثلاثا فهي تطليقة، وقضى به: عبد الملك بن مروان، وكان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول: قد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق، وإن

اختارت نفسها واحدة أو اثنين كان له عليها رجعة، وإن طلقت نفسها ثلاثا بانت منه، ولم تحل له حتى تنكح زوجا غيره، فيدخل بها، ثم يموت عنها أو يطلقها، إلا أن يرد عليها في مجلسه، فيقول: إنما ملكتك واحدة، فستحلف، ثم يخلى بينه وبين امرأته.

ومن ذلك: أن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه كان يقول: أيما رجل تزوج امرأة ثم اشتراها زوجها فاشتراؤه إياها ثلاث تطليقات، وكان ربيعة يقول ذلك، وإن تزوجت الحرة عبدا فاشترته فمثل ذلك.

وقد بلغنا عنكم أشياء من الفتيا، فاستنكرتها، وقد كتبت إليك في بعضها، فلم تجبني في كتابي، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك، فتركت الكتاب إليك في شيء مما أنكرت، وفيما أردت فيه علم رأيك. وذلك أنه كان بلغني أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالي والي المدينة حين أراد أن يستسقي أن يقدم الصلاة على الخطبة، فاعظمت ذلك، لأن الخطبة في الاستسقاء قبل الصلاة، كهيئة يوم الجمعة، إلا أن الإمام إذا دنا فراغه من الخطبة حول وجهه إلى القبله، فدعا، وحول رداءه، ثم نزل فصلى، وقد استسقى بين ظهرانيكم عمر بن عبد العزيز، وأبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم، وغيرهما، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة، فاستهتر الناس الذي صنع زفر بن عاصم من ذلك واستنكروه.

ومن ذلك: أنه ذكر لي أنك تقول: إن الخليطين في المال لا تجب عليهما الزكاة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة، وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه يجب عليهما الصدقة، ويترادان بينما بالسوية، وقد كان ذاك الذي يعمل به في ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم، والذي حدثنا به: يحيى بن سعيد، ولم يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه، فرحمه الله، وغفر له، وجعل الجنة مصيره.

ومن ذلك: أنه بلغني أنك تقول: إذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة فتقاضي طائفة من ثمنها شيئا، أو أنفق المشتري طائفة منها، أنه يأخذ ما وجد من متاعه، وكان الناس على أن البائع إذا تفاضي من ثمنها شيئا أو أنفق المشتري منها شيئا فليست بعينها.

ومن ذلك: يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير إلا لفرس واحد، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين، ومنعه سهم الفرس الثالث، والأمة كلهم على هذا الحديث، أهل الشام، وأهل مصر، وأهل إفريقية، وأهل العراق، ولا يختلف فيه اثنان، فلم يكن ينبغي ـ وإن كنت سمعته من رجل مرضي ـ أن تخالف الأمة أجمعين.

وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذه، وأنا أحب توفيق الله إياك، وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف أن يكون من المضيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسي بمكانك وإن نأت الدار، فهذه منزلتك عندي، ورأيي فيك، فاستيقنْه، والسلام(١٤٥).

ونتيجة لهذا التلاقح الفكري بين الإمامين الليث ومالك فقد تشابهت اجتهاداتهما، حتى ليظن أن أحدهما يسمع فتيا الآخر فيردّدها هو، وقد كان ابن وهب تقرأ عليه مسائل الليث، فمرّت به مسألة، فقال رجل من الغرباء: أحسن والله الليث، كأنه كان يسمع مالكا يجيب، فيجيب هو، فقال ابن وهب للرجل: بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو، والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحدا قط أفقه من الليث(١٤٦). وقال أي: ابن وهب: لولا الليث ومالك لضللنا(١٤٧).

ونحن لا نعرف كتابا قد وضع في فقه الليث بن سعد، لأنه لم يخلف من التلاميذ من نشط لتدوين فقهه، ولكن يذكر ابن النديم في **الفهرست**(١٤٨) أن لليث كتابين هما: **كتاب التاريخ**، وكتاب **مسائل في الفقه**، ولكننا لم نعثر على شيء منهما.

ولا نعلم أحدا من المتأخرين من نشط لجمع ما تناثر هنا وهناك في بطون الكتب من فقه الليث رحمه الله تعالى ولذلك فإن العلماء قد اعتبروا فقه الليث بن سعد من الفقه الضائع، وهذا الذي أقدمه اليوم للقارئ هو أول جمع وترتيب لفقه هذا الإمام العظيم. ولا أدعي أني قد جمعت جميع فقه الليث بن سعد، لم يفتني منه شيء، ولكن حسبي أني جمعت من فقهه ما لم ينشط لجمعه غيري.

وقد وجدت أن أكثر من نقل فقه الليث هم المالكية، ففي **التمهيد** قدر كبير منه، وكذا في **المدوّنة**، ثم يأتي من بعدهما الجصّاص الحنفي في **أحكام القرآن**، ونقل الشافعية والحنابلة له قليل.

استشارة الخلفاء له:

إن العلم الغزير الذي أحسن الإمام الليث جمعه في صدره، والعقل الراجح الذي حباه الله تعالى به، وما يلازمه من بعد النظر، وصدق المحاكمة، جعل الليث محطّ أنظار الفقهاء، يستشيرونه في الأمور العظام.

---

١٤٥ – تاريخ يحيى بن معين برقم: ٥٤١١ (٤/٤٨٧ وما بعدها).

١٤٦ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ٤/١٢٧.

١٤٧ – الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١/٢٥٥.

١٤٨ – ابن النديم: **الفهرست**، ١/٢٨٢، المطبعة الرحمانية، مصر، عام ١٣٤٨هـ.

فقد سأله الخليفة هارون الرشيد مرة: ما صلاح بلدكم؟ فقال الليث: بإجراء النيل، وصلاح الأمير، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإن صفت العين صفت السواقي، فقال الرشيد: صدقت(١٤٩). فقد جعل الليث صلاح الممالك يقوم على أمرين اثنين هما: صلاح الاقتصاد، وصلاح السياسة، فإذا فسد هذان الأصلان فقد فقدت الدولة مبرّر وجودها.

وكان معاوية بن أبي سفيان قد صالح قبرص على خراج يؤدُّونه للمسلمين، وهم مع ذلك يؤدّون للرّوم خراجا أيضا، فحدث منهم حدث في عهد عبد المالك بن صالح أحد قوّاد الرشيد ثم الأمين فكتب إلى الفقهاء في أمرهم، فكتب إليه الليث: إن أهل قبرص لم نزل نتهمهم بالغش لأهل الإسلام، والمناصحة لأهل الروم، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ**﴾ ولم يقل تعالى: لا تنبذ إليهم حتى تستبين خيانتهم، وإني أرى أن تنبذ إليهم، ثم ينظروا سنة يأتمرون، فمن أحب منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة يؤدي الخراج، فعل، ومن أراد أن يتنحى إلى الروم، فعل، ومن أراد أن يقيم في قبرص على الحرب أقام، فيقاتلهم المسلمون كما يقاتلون عدوّهم، فإن في إنظار سنة قطعا لحجّتهم، ووفاء بعهدهم(١٥٠).

وروي أبو نعيم في **الحلية** قال: قال أبو علي الحسن يوسف بن مليح الطرايفي بمصر، حدثنا أبو الحسن لؤلؤ، خادم هارون الرشيد، قال: جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون الرشيد لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنّة، ثم ندم، واغتما جميعا بهذا اليمين، ونزلت بهما مصيبة، لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين، فلم يجدوا منها مخرجا، ثم كتب إلى سائر البلدان من عماله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم، وأدخلوا عليه، وكنت واقفا بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه، وهل له منها مخرج؟ فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، وهارون يراعي الفقهاء واحدا واحدا، فقال: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، فقلت له: إن أمير المؤمنين يقول لك: ما لك لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟ فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء، وفيه مقنع، فقال: قل، إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا، ولم نشخصكم من بلدانكم، ولَمَا أحضرت هذا المجلس، فقال الليث: ليخل أمير المؤمنين

---

١٤٩ – الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ٣٢٢/٧ والزركلي: **الأعلام**، ١٥٨/٨، وابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٢/٤.

١٥٠ – أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ١٧١، الطبعة التجارية الكبرى، مصر، عام ١٢٥٣هـ.

مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، ثم قال: تكلّم، فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة إلا هذا الغلام، وليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمين، أتكلم علي الأمان ولي الطاعة من أمير المؤمنين في جميع ما آمره به،؟ قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفّحه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه فتصفّحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ، فلما بلغ ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ قال: قف يا أمير المؤمنين هنا، فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين: والله، فاشتد على الرشيد وعلي ذلك، فقال له هارون الرشيد: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه، وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر، قريب من المجلس، تسمع الخطاب، ثم رفع هارون رأسه إليه، فقال: والله، قال: "الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله عزّ وجل؟ فقال هارون: إني أخاف مقام الله عزّ وجل، فقال: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان وليس بجنة واحدة، كما ذكر الله تعالى في كتابه، قال أبو الحسن لؤلؤ: فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد، ثم قال هارون: ياشيخ، اختر ما شئت، وسَلْ ما شئت، تُجَبْ فيه، فقال يا أمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك، فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين، والضياع التي لك بمصر ولابنة عمك، أكون عليها، وتسلم إلي لأنظر في أمورها، قال: بل نقطعك إقطاعا، فقال: يا أمير المؤمنين ما أريد من هذا شيئا، بل تكون في يدي لأمير المؤمنين، فلا يجري علي حيف العمّال، وأعز بذلك، فقال هارون: لك ذلك، وأمر أن يكتب له ويسجّل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه، واستأذن في الرجوع إلى مصر، فحُمِل مُكرَّما(١٥١).

الأعمال التي وَلِيَهَا:

لقد كان الليث بن سعد رحمه الله تعالى محلّ ثقة الخلفاء والناس، فكانوا يقصدونه بالفتوى، ولذلك فإنه قد استقلّ بالفتوى في الديار المصرية(١٥٢).

---

١٥١ – الأصبهاني: **حلية الأولياء**، ٣٢٣/٧، والبغدادي: **تاريخ بغداد**، ٣/١٣، والذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٥/١ وابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٩/٤، والزركلي: **الأعلام**، ١٥٩/٨.

١٥٢ – ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٤٠٢/٨ والزركلي: **الأعلام**، ١٦١/٨.

ولما لقيه أبو جعفر المنصور في بيت المقدس عرض عليه أن يعمل نيابة الملك، فامتنع[١٥٣]، فعرض عليه ولاية مصر، فلم يقبلها، واعتذر بأنه أضعف من أن يحمل تلك المسؤولية، فقد روى ابن بكير عن الليث أنه قال: قال لي أبو جعفر المنصور، تلي لي مصر، فقلت: لا، يا أمير المؤمنين، إني أضعف عن ذلك، إني رجل من الموالي، فقال له أبو جعفر: ما بك ضعف معي، ولكن ضعفتك نيتك في العمل عن ذلك لي[١٥٤]، فقال له المنصور: أما إذا أبيت أن تلي لي مصر فدلني على رجل أقلده مصر، فقال: عثمان بن الحكم الجذامي، رجل له صلاح، وله عشيرة، فبلغ ذلك عثمان بن الحكم، فعاهد الله ألا يكلم الليث بن سعد[١٥٥].

ورغم أن الليث رفض أن يتولّى منصبا رسميا في الدولة، إلا أنه كما يقول الذهبي كان تحت إمرته نائب مصر وقاضيها، يرجعون إلى رأيه ومشورته، وإذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيعزل[١٥٦]، قال أحمد بن سعيد بن أبي مريم: قدم علينا إسماعيل النسفي الكوفي قاضيا، وكان من أحسن قضاتنا، وكان يذهب إلى قول أبي حنفية، وكان مذهبه إبطال الأحباس[١٥٧] ـ أي الأوقاف ـ فثقل أمره على أهل مصر وشق، فكتب الليث بن سعد إلى المهدي في أمره، وقال: إنا لا ننكر عليه شيئا في مال، ولكنه أحدث أحكاما لا نعرفها في بلدنا، فعزله سنة سبع وستين، وقيل: إن الليث جاء، والحاصل بين يديه، ففرقه إسماعيل، فقال الليث: إنما جئت مخاصما لك، قال: بماذا؟ قال: بإبطالك أحباس المسلمين، وقد حبس رسول الله، وحبس عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فمن بقي بعد هؤلاء؟!"[١٥٨].

روى أشهب بن عبد العزيز قال: "كان الليث بن سعد له كل يوم أربعة مجالس يلجس فيها.

---

١٥٣ – الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٤/١.

١٥٤ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٥/١٣ والذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٤/١ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٥/١ وابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٩/٤.

١٥٥ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥٦/٨.

١٥٦ – ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٥/١، يوسف بن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٨٢/٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٤/١، الزركلي: **الأعلام**، ١٤٣/٨.

١٥٧ – يري أبو حنيفة أن الوقف غير لازم، وأن من وقف شيئا له أن يعود فيه، وخالفه الصاحبان في ذلك، فقالا: الوقف لازم.

١٥٨ – **طبقات الحنفية**، ١٦١/١.

أما أولها: فيجلس لنائبة السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي شيئا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول، نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم. ويجلس للمسائل، يغشاه الناس فيسألونه.

ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فيردّه، كبرت حاجته أو صغرت، وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر"(١٥٩).

وقد اضطر الليث بن سعد إلى تولّي بعض الأعمال في الدولة لما هدده والي مصر علي بن صالح بضرب عنقه إن لم يلي عملا له، قال يحيى بن بكير: ولي الليث بن سعد ثلاث ولايات لصالح بن علي، قال صالح لعمرو بن الحارث: لا أدع الليث حتى يتولّى لي، فقال عمرو: لا يفعل، فقال صالح: إن لم يفعل لأضربن عنقه، فجاء عمرو الليث وحذّره، فولي ديوان العطاء، وولي الجزيرة أيام أبي جعفر المنصور، وولي الديوان أيام المهدي(١٦٠).

وفـاته:

اتفقت الروايات أن الليث بن سعد توفي في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة وصلى عليه موسى بن عيسى، ودفن يوم الجمعة بمصر في القرافة الصغرى، قال ابن خلكان: وقبره أحد المزارات(١٦١).

لقد عمَّ الحزن الناس بوفاة الليث بن سعد، بكاه العلماء، وبكاه طلاّب العلم، وبكاه الأرامل والفقراء، وبكاه الحكَّام، لأن خيره عمَّ الجميع، قال محمد بن عبد الرحمن: كنت جالست الليث بن سعد، وشهدت جنازته وأنا مع أبي، فما رأيت جنازة أعظم منها، ولا أكثر من أهلها، ورأيت كلهم عليهم الحزن، والناس يعزي بعضهم بعضا وهم يبكون، فقلت: يا أبت كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة، فقال لي: يا بني كان عالما، سعيدا، كريما، حسن الفعل، كثير الأفضال، يا بني، لا ترى مثله أبدا(١٦٢)، رحم الله الليث بن سعد فقد كان أمة.

* * * *

---

١٥٩ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ٩/١٣، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣١/٤، الزركلي: الأعلام، ١٥٠/٨.

١٦٠ – الزركلي: **الأعلام**، ١٥٧/٨.

١٦١ – الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ١٤/١٣، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٢٦/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٨/٤ وغيرها.

١٦٢ – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٣٢/٤، الزركلي: **الأعلام**، ١٦٢/٨.